الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

15/200

جامعة 08 ماي 1945- قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار
التخصص : التاريخ العام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان :

# الجيش الفاطمي في بلاد المغرب و المشرق
# من 297هـ-910م إلى 567هـ-1171م

إعداد الطالبة :
أميرة بورهدون

إشراف الأستاذ :
بلقاسم مرزوقي

لجنة المناقشة :

| الأستاذ | الرتبة | الصفة | الجامعة |
|---|---|---|---|
| رابح أولاد الضياف | استاذ محاضر ب | رئيسا | جامعة08ماي 1945م قالمة |
| بلقاسم مرزوقي | استاذ مساعد أ | مشرفا ومقررا | جامعة08ماي 1945م قالمة |
| فؤاد طوهارة | استاذ مساعد أ | عضوا مناقشا | جامعة08ماي 1945م قالمة |

السنة الجامعية : 2015/2014 م- 1436/1435هـ

# إهداء

اللهم لك الحمد إذ ألهمتنا من الخطأ استغفارا و لك الحمد فارزقنا الجنة و أصرف عنا بعفوك النار.

أهدي هذا العمل المتواضع...

إلى من قال فيهما ربي" و وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا " الآية 23 سورة الإسراء، و قوله عز وجل " و قل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا" الآية 24 سورة الإسراء.

إلى التي غمرتني بحنانها و تعبت لأجل راحتي، أمي الغالية و الحنونة و التي قال فيها الرسول الكريم"... أمك ثم أمك ثم امك...'

إلى أبي الذي ظل يدعمني و يشجعني طوال مشواري الدراسي.

إلى إخوتي، ياسين، عادل، مهدي، حمزة، نوال

وإلى أبناء عمي و إن لم أقل اخوتي الصغار، عماد، دينا، و الكتكوت، ضياء.

و إلى كل من يحمل لقب "بورهدون" و " حسين"

و إلى زميلاتي اللواتي أتمنى لهن التوفيق أيضا، سارة، آسيا، إيمان، خولة.....

و إلى كل من يعرفني

أميرة

# شكر و عرفان

الحمد و الشكر لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أتوجه بجزيل الشكر و العرفان إلى الأستاذ المشرف على بحثي " بلقاسم مرزوقي" لموافقته للإشراف علي، و لتوجيهاته العلمية القيمة، متمنية له المزيد من النجاحات.

كذلك اتوجه بالشكر إلى أساتذة و دكاترة قسم التاريخ و الآثار، الأستاذ قريان، و الدكتور بن مارس، و صالح فركوس، بورغدة، قدادرة شايب، خالدي، سلاطنية، بوشارب سلوى، سعيدي، قاسمي،...إلخ

كما أتوجه بشكر خاص للأستاذ خالدي من خلال دعمه لطلابه، ووضعه تحت تصرفنا مجموعة قيمة من الكتب و التي أفادتني كثيرا في بحثي.

و أشكر عمال مكتبة كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية على مساندتهم و صبرهم.

وإلى كل من قام لي يد المساعدة و العون،

## خطة البحث

إهداء

**شكر و عرفان**

مقدمة

**فصل تمهيدي:** الدعوة و قيام الدولة العبيدية

**الفصل الأول:** نظم الجيش الفاطمي

**المبحث الأول:** تركيبة الجيش الفاطمي

**المبحث الثاني:** الأسلحة و التسليح في الجيش الفاطمي

**المبحث الثالث:** مرتبات الجند الفاطمي و إقطاعاته

**الفصل الثاني:** الجيش الفاطمي في بلاد المغرب و صقلية ( 297-362هـ/ 910-972م)

**المبحث الأول:** دور الجيش في إخماد ثورات المغرب الأدنى

**المطلب الأول:** ثورة القصر القديم(299هـ-912م).

**المطلب الثاني:** ثورة القيروان(299هـ 912م)

**المطلب الثالث:** ثورة طرابلس(300هـ-913م)

**المطلب الرابع:** ثورة برقة(304هـ-918م)

**المبحث الثاني:** دور الجيش الفاطمي في إخماد ثورات المغرب الأوسط

**المطلب الأول:** ثورة كتامة(299هـ-912م)

**المطلب الثاني:** ثورة زناتة(312هـ-920م)

**المطلب الثالث:** ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد(323هـ-935م)

**المبحث الثالث:** دور الجيش في التوسع إلى المغرب الأقصى

**المبحث الرابع:** نشاط الجيش في صقلية

**المطلب الأول:** أهمية صقلية

**المطلب الثاني:** دور الجيش الفاطمي في إخماد ثورات صقلية (304هـ/917م)

**المطلب الثالث:** اتخاذ صقلية قاعدة عسكرية للجيش الفاطمي

**الفصل الثالث:** الجيش الفاطمي في مصر و الشام ( 358-567هـ/968-1171م)

**المبحث الأول:** دور الجيش في انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر.

**المطلب الأول:** أهمية مصر

**المطلب الثاني:** حملات الجيش الفاطمي على مصر.

**المطلب الثالث:** بناء القاهرة و اتخاذها قاعدة عسكرية.

**المبحث الثاني:** نشاط الجيش الفاطمي في الشام.

**المطلب الأول:** فتح الشام( 358هـ/968م)

**المطلب الثاني:** الحرب مع القرامطة(360هـ/971م)

**المطلب الثالث:** الحرب مع أفتكين(365هـ/976م)

**المطلب الرابع:** الحرب مع بكجور(373هـ/983م)

**المبحث الثالث:** الجيش الفاطمي في الحملة الصليبية الأولى

**المبحث الرابع:** تفكك الجيش الفاطمي

**خاتمة**

**الملاحق**

**قائمة المصادر و المراجع**

# مقدمة

## مقدمة

عانت الأمة الإسلامية من فتنة كبرى كادت أن تعصف بها و بكيانها، عقب مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ تمحور الخلاف حول الشرعية على الحكم بين معاوية بن أبي سفيان و علي بن أبي طالب، فحدث أن برزت جماعة من أتباع علي رضي الله عنه ترى أحقيته في الحكم و أبنائه من بعده، ما أسس مع مرور الزمن لما يعرف بالشيعة، و بتعرض هذه الأخيرة إلى المتابعة من قبل الأمويين و العباسيين من بعدهم أدى إلى انقسامها لعدة فرق، و تعد فرقة الإسماعيلية إحدى ما تفرع عن الشيعة الأم.

سعت هذه الفرقة -الإسماعيلية- منذ ظهورها إلى نشر مبادئها بأساليب غاية في الدقة و السرية تعبر عن ذكاء و حنكة زعمائها، و تعتبر التقية أو الاستتار أهم مبدأ عمل به الإسماعيليون، لذلك صعب على المؤرخين تحديد تاريخ الإسماعيلية المبكرة.

غير أن الإسماعيلية تمكنت من تأسيس دولة لها تعتبر من أقوى الدول أثناء فترة العصور الوسطى، و التي وجدت في بلاد المغرب أرضا خصبة لذلك، حيث أسيل لها حبر الكثير من المؤرخين، فنالت بذلك هذه الدولة درجة كبيرة من الاهتمام من حيث جميع جوانبها ، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية.

عرفت هذه الدولة تاريخيا باسم الدولة العبيدية نسبة إلى عبيد الله المهدي أول خليفة لها، و الفاطمية فيما بعد نسبة لعلي و فاطمة رضي الله عنهما، و لكي تحقق الدولة الفاطمية هدفها كان لابد لها من كسب جيش قوي يمكنها من مواجهة أعدائها التقليديين، و عليه كان موضوع بحثي بعنوان " الجيش الفاطمي في بلاد المغرب و المشرق( من 297هـ- 910م إلى 567هـ-1171م).

و يعتبر هذا الموضوع من أهم المواضيع لأنه يسلط الضوء على جانب مهم من تاريخ الدولة الفاطمية، كما أنه لا توجد دراسات دقيقة و مفصلة تعالج هذا الموضوع خاصة و أن الجيش يعتبر بمثابة العمود الفقري للدول،

فإن كانت الدولة قوية فذلك يقاس بقوة جيشها، و تكمن إذن أهمية الموضوع في إبراز دور الجيش في امتداد سلطان الدولة و المحافظة على كيانها، فالتاريخ عودنا في بعض الأحيان على أنه إن لم تمتلك الدول جيشا قويا فحتما ستكون فريسة سهلة لأعدائها و الطامعين في أراضيها.

و نظرا للأهمية الكبيرة التي يكتسيها هذا الموضوع جاء اختياري له لتناوله بالدراسة و ذلك لإبراز و إيضاح كل ما يلفه من غموض و وفقا لذلك: هل اقتصرت تركيبة الجيش الفاطمي على العنصر المغربي و المشرقي المسلم فقط؟ و هل يمكن حصر دور الجيش الفاطمي في الدفاع عن الدولة الفاطمية و توسعاتها؟ و إلى أي مدى نجح جيش الدولة الفاطمية في تثبيت وجودها في بلاد المغرب و المشرق؟ و كيف تصدى الجيش الفاطمي للحملة الصليبية الأولى؟ و ما كان مصير هذا الجيش؟

و للإجابة على هذه التساؤلات قمت بوضع خطة تضمنت فصل تمهيدي و ثلاث فصول رئيسية بالإضافة إلى قائمة المصادر و المراجع، و لإثراء الموضوع قمت بتزويده ببعض الملاحق.

فكان موضوع الفصل التمهيدي بعنوان" الدعوة و قيام الدولة العبيدية" و تم التطرق فيه بإيجاز إلى أبرز ما حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم، كما تعرضت فيه كذلك و بإيجاز أيضا عن الدعوة الإسماعيلية و قيام الدولة العبيدية ببلاد المغرب، إضافة إلى قضية نسب الفاطميين وما أثير حولها من جدل بين المؤرخين.

و جاء الفصل الأول بعنوان" نظم الجيش الفاطمي"، تناولت فيه تركيبة الجيش الفاطمي في بلاد المغرب و المشرق و كيفية ترتيبه في ديوان الجيش، إضافة إلى الأسلحة التي كان يستخدمها الجيش الفاطمي في معاركه و حروبه كذلك تم التطرق فيه إلى مرتبات الجيش و إقطاعاته و ذلك لكي تضمن الدولة الفاطمية جاهزية جيشها و عدم انشغاله بما يلهيه عن القيام بمهمته على أكمل وجه.

أما الفصل الثاني كان بعنوان" الجيش الفاطمي في بلاد المغرب و صقلية( 297-362هـ/910-972م)"، تعرضت في هذا الفصل إلى دور الجيش الفاطمي في إخماد الثورات التي قامت ببلاد المغرب و صقلية، كذلك تم التطرق فيه إلى دور الجيش في التوسع إلى بلاد المغرب الأقصى و التصدي لأطماع الأمويين في الأندلس على سواحل المنطقة.

بينما كان الفصل الثالث بعنوان " الجيش الفاطمي في مصر و بلاد الشام( 358-567هـ/968-1171م)"، تناولت فيه دور الجيش في انتقال الخلافة الفاطمية من المغرب إلى المشرق من خلال فتح مصر و بناء القاهرة ليتم اتخاذها فيما بعد قاعدة عسكرية للجيش، كذلك تم التطرق فيه إلى دور الجيش في الاستيلاء على بلاد الشام، و تصديه للحملة الصليبية الأولى أين لخص دوره في الدفاع عن بيت المقدس و عسقلان.

و بعد دراستي لهذا الموضوع توصلت إلى عدة استنتاجات على شكل خاتمة، حيث كان للجيش الفاطمي الفضل الكبير في توسع دولته و استمرارها من بلاد المغرب إلى المشرق لمدة قرنين و نصف القرن من الزمن.

و لمعالجة هذا الموضوع كان لابد من الاعتماد على مجموعة من المصادر و المراجع، إذ قمت باستغلال كل مرجع أو مصدر يتناول تاريخ الدولة الفاطمية، و ذلك لعدم إقصاء أي طرف و محاولة التعرض لكل اتجاه أو رأي سواء كان مغربي أو مشرقي سني أو شيعي، معارض أو مؤيد ، و لكي تكون الدراسة شاملة لمختلف الآراء، غير متحيزة لطرف على حساب آخر، و عليه اختلف استعمال هذه المصادر و المراجع حسب أهميتها و درجة الاستفادة منها.

و يعتبر كتاب الداعي إدريس عماد الدين" تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب" من أهم المصادر الإسماعيلية لأنه يتناول تاريخ الفاطميين بالمغرب، كذلك كان لكتابي القاضي النعمان أهمية بالغة بين المصادر الإسماعيلية "افتتاح الدعوة"، و" المجالس و المسايرات" إذ تمت الاستفادة من الأول في الحديث عن الدعوة الإسماعيلية و دخول

الداعي إلى المغرب و الثورات التي قامت بالمغرب ضد عبيد الله، أما الثاني فتمت الاستفادة منه في إبراز دور و مكانة كتامة في صفوف الجيش الفاطمي.

و لكتابي المقريزي(ت، 845هـ)، " اتعاظ الحنفا" و " المواعظ و الاعتبار"، أهمية بالغة إذ كانت درجة الاستفادة من الأول أوسع من الكتاب الثاني، لأن الأول اختص بأخبار الخلفاء الفاطميين بينما الثاني اختص بأخبار الفاطميين و غيرهم.

و من بين المصادر التي استفدت منها كثيرا كتاب ابن أيبك " الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية"، و كتاب ابن حماد " أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم" و كتاب ابن عذارى " البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب"، و كتاب ياقوت الحموي" معجم البلدان" فله درجة كبيرة من الأهمية لأنه أفادني كثيرا في التعريف بالأماكن و البلدان.

كما أنه لا يمكنني أن أنسى مصادر التاريخ العام و أهميتها في معالجة هذا الموضوع منها ابن الأثير " الكامل في التاريخ" و ابن كثير في " البداية و النهاية".

كما كان كذلك للمراجع حصة الأسد و ذلك من خلال درجة الاستفادة منها، منها كتاب عبد الله محمد جمال الدين "الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش"، إضافة إلى عبد المنعم ماجد" نظم الفاطميين و رسومهم في مصر"، و علي مبارك" خطط الشام"، و فرحات الدشراوي" الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب" ،بالإضافة إلى مجموعة أخرى من المصادر و المراجع لا تقل أهمية عن هذه المصادر و المراجع ،كما أنه يجب أن أنوه أنه قد تعذر علي استعمال بعض المصادر و المراجع بدرجة أوسع و ذلك كان إما لصعوبة التعامل معها و عدم فهمها مثل المصدر الشيعي الإسماعيلي " سيرة جوذر" لجوذر، أو لضرورة تقتضيها بعض الأجزاء خاصة في التعريف ببعض الأماكن و الأجناس.

و اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي و التحليلي إلى المقارن، و ذلك حسب ما يقتضيه كل جزء من أجزاء الموضوع، فمثلا التحليلي المقارن جاء في الفصل التمهيدي و ذلك من خلال تناول قضية النسب و التعرض لمختلف أراء المؤرخين بالتحليل و المقارنة و استعملت المنهج المقارن كذلك في الفصل الأول في حديثي عن أنواع الأسلحة إذ قمت بمقارنتها بالأسلحة العربية الإسلامية، أما المنهج الوصفي فقد برز استعماله في الفصل الأول من خلال تناولي لعناصر الجيش الفاطمي، ووصف الأسلحة التي كانت تحمل من طرف طوائف الجند أثناء الاحتفالات الفاطمية، كما كان المنهج الوصفي في الفصل الثالث و ذلك من خلال وصف مصر و ما تحتويه من ثروات، و كذلك وصف حارات القاهرة.

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتني أثناء دراسة الموضوع فقد اختلفت بين ما هو نفسي يتمثل في الخوف من عدم القدرة على إنهاء الدراسة بالشكل المطلوب و الوقت المحدد، و أما ما هو عملي فيتمثل في أن معظم المصادر و المراجع تتناول الجانب السياسي للدولة الفاطمية أكثر من تناولها الجانب العسكري، مما اضطرني في كثير من الأحيان إلى استنتاج ما يتعلق بجانبها الحربي و ذلك من خلال استنتاج ما قام به كل خليفة من فتوحات و توسعات، كذلك وجدت صعوبة في التعامل مع المصادر الشيعية التي تمجد التاريخ الفاطمي، و في المقابل وجود بعض المصادر السنية المعاصرة للدولة العباسية التي تنكر عن الفاطميين نسبهم، فكان نوعا من العداء، كما أنه كان لكثرة المصادر و المراجع و اختلافها بين ما هو شيعي و ما هو سني ،و مؤيد و معارض صعوبة في التنسيق و الربط بينها.

و في الأخير أرجوا أن تكون دراستي المتواضعة للموضوع قد كانت قريبة إلى الصواب ولو بالقليل لقوله عز وجل:

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون"

سورة التوبة،الآية،105.

# فصل تمهيدي

## الدعوة و قيام الدولة العبيدية

منذ وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم اختلف المسلمون حول من يتولى أمر خلافته[1] ؛في سقيفة بني ساعدة* ،فكاد الأمر أن يتفاقم بينهم والرسول في بيته لم يفرغ من أمره بعد حتى اتفقت كلمتهم على أبي بكر رضي الله عنه[2].

و بوفاة أبي بكر تولى الخلافة من بعده عمرو بن الخطاب رضي الله عنه، إلا أنه قتل أثناء خروجه لصلاة الفجر ، و تم دفنه بجانب النبي صلى الله عليه و سلم و أبو بكر رضي الله عنه[3].

ليتولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أمر الخلافة من بعد عمرو رضي الله عنه، إلا أنه قتل سنة 35هـ[4]،فعدل الناس إلى علي لمبايعته و لكنه رضي الله عنه امتنع من اجابتهم إلى قبول الإمارة أو خلافة المسلمين؛ حتى تكرر قولهم، و فر منهم إلى منزله فجاء الناس إلى بيته و طرقوا الباب و لحوا عليه الأمر؛ وكان معهم طلحة و الزبير** و قالوا له: "إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير"حتى أجابهم بالموافقة، و بايعه الزبير و أصحاب النبي عليه الصلاة و السلام[5] ،و تولى علي رضي الله عنه الخلافة في ظل ظروف مضطربة كانت موضوعا لنزاع كبير؛ ودخل علي بن أبي طالب في معارك و حروب منها موقعة الجمل، إذ أنه بعد مقتل عثمان خرجت نساء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة للحج، هربا من الفتنة[6]، فقامت عائشة رضي الله عنها في الناس تخاطبهم و تحثهم على

---

(1)- محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، السيرة النبوية، تح، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية؛ لبنان، 2003م، ص،17.

* سقيفة بني ساعدة: بالمدينة وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها، فيها بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه و بنو ساعدة هم حي من الأنصار. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان. مج3، دار صادر، بيروت، ص،299.

(2)- حسن أيوب، الخلفاء الراشدون، (أبو بكر، عمر، عثمان، علي؛ أيامهم و سيرهم). تح: كرم حلمي، 2003م، ص،23.

(3)- الفضل بن علي التميمي، الخلفاء الأربعة(أبو بكر، عمر، عثمان، علي؛ أيامهم و سيرهم)، تح: كرم حلمي، فرحات أبو صبري، القاهرة، 1999م، ص،35.

(4)- حسن أيوب، المرجع السابق، ص،202.

** الزبير :هو الصحابي الزبير بن العوام من العشرة المبشرين بالجنة، كان مع عائشة رضي الله عنها في موقعة الجمل ضد علي، وله عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه و سلم. أنظر، محمد عبد الله بن مسلم ابن قتبة، الإمامة و السياسة. تح، محمد الرفعي، مطبعة النيل، مصر، ص،24.

(5)- حسن أيوب، المرجع السابق، ص،239.

(6)- الفضل بن علي التميمي، المرجع السابق، ص،211.

القيام بطلب دم عثمان رضي الله عنه، فاستجاب لها الناس و أطاعوها فاتفقوا على أن يذهبوا إلى المدينة يطلبوا من علي رضي الله عنه أن يسلمهم قتلة عثمان و كان مع عائشة طلحة و الزبير[1]، ولما سمع علي رضي الله عنه بخروج عائشة و من معها سار بجيشه إلى البصرة أين التقى الجيشان، واقتتلا ووقع قتلى و جرحى من كلا الطرفين، ولم تكن واقعة الجمل إلا مقدمة لما هو أشد منها و هي موقعة صفين* وما نتج عنها من أمر التحكيم مع معاوية، غير أن علي رضي الله عنه قتل سنة 40هـ[2].

وبوفاة علي شعر أتباعه بالندم و الحسرة و المرارة لأنهم لم يعرفوا كيف يساندونه و يدافعون عنه منذ ذلك الوقت نمت فيهم عقدة ذنب عظيمة، مازالت فيهم إلى يومنا هذا[3]، فاعتقدوا أن الحكم يقتصر على آل البيت فدليلهم أن القرآن و الحديث تضمنا النصوص الموجبة لتولي علي و ذريته من بعده الخلافة و الحكم و أطلقوا على زعيمهم لقب إمام فهذه الحركة كانت في البداية حركة عربية إسلامية محضة لكن ما لبث أن دخل فيها الكثير من غير العرب كالفرس[4]، وبعد مقتل الحسين في كربلاء سنة 61هـ[5]، ظهرت عدة فرق شيعية و تعد فرقة الكيسانية** أولى الفرق الشيعية التي ظهرت، فاجتمع الشيعة المعتدلون حول أبناء فاطمة و راحوا يعملون بحذر بما جاءت به السنة، في حين التف المتطرفون حول محمد بن الحنفية ومنذ ذلك الوقت بدأت الانقسامات بين صفوف الشيعة فظهرت فرق جديدة تطور بعضها إلى ثورات آلت إلى الإخفاق و الفشل بفعل ملاحقة الأمويين لهم، منها ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية و ثورتي يحي و إدريس.[6]

---

[1] - الفضل بن علي التميمي، المرجع السابق: ص220.

*صفين: و هي موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة و بالس ووقعة صفين بين علي و معاوية كانت سنة 37هـ: دامت مائة و عشرة أيام، و شهدت من الوقائع 90 وقعة، أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص414

[2] - أحمد المختار العبادي، في التاريخ العباسي و الفاطمي، دار النهضة، بيروت: ص220.

[3] المرجع نفسه ، ص221.

[4] سهيل زكار، أخبار القرامطة في الأحساء، الشام، العراق، اليمن. دار حسان للطباعة و النشر، 1402هـ، 1982م، ص18.

[5] - أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص220.

**الكيسانية: أصحاب كيسان مولى علي، و قيل تلميذ محمد بن الحنفية و يعتقدون فيه اعتقادا بالغا و يجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة و الزكاة و الحج، أنظر، الشهرستاني، الملل و النحل، ج1، مطبعة بولاق، 1293، ص82.

[6] محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي افريقيا و مصر و بلاد الشام، دار النفائس، بيروت، 2001، ص 49.

عكس جعفر الصادق من ذرية الحسين الذي استطاع اتقاء غضب المنصور و اتخذت حركته منعرجا حاسما في تاريخها تمثل في انقسامها إلى قسمين بفعل نظرية الحق الوراثي عند الشيعة[1] ،و هما الإمامية الاثنا عشرية بإمامة ابنه موسى الكاظم، و الإسماعيلية التي قالت بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق[2]، و ما يهمنا هو الشيعة الإسماعيلية إذ أن جعفر الصادق عين ابنه إسماعيل خلفا له إلى أن إسماعيل توفي في حياة أبيه[3]، فحول الشيعة الاثنا عشرية الإمامة إلى موسى الكاظم الابن الثاني لجعفر الصادق و هو الإمام السابع[4]، في حين استمر الإسماعيلية بالقول بإمامة إسماعيل، و بهذا انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد ابن إسماعيل طبقا لتعاليم الشيعة التي تنص على أن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخ و إنما تظل في الأعقاب أي من الأب إلى الابن البكر[5].

تجنبا لغضب العباسيين خلال العصر الأول لجأت الإسماعيلية إلى التخفي أو العمل السري كغيرها من الفرق الشيعية الأخرى، فقد استتر الأئمة و تولى دعاتهم نشر الدعوة لهم[6]، و يعتبر ميمون القداح* من أشهر دعاة الإمام محمد بن إسماعيل و بعد وفاته انتقلت إلى ابنه عبد الله الرضي الذي استتر و اعتمد على كبير دعاته عبد الله بن ميمون القداح، غير أن العباسيين تتبعوه و انتقل و ابنه إلى قرية سلمية** ،في بلاد الشام و أصبحت مقرا للشيعة الإسماعيلية، ليخلفه ابنه الإمام حسين و الذي وجه اهتمامه إلى اليمن[7]، لنشر دعوته و اعتمد في ذلك

---

(1)-حسن علي الخربطولي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، 1278، ص9.

(2)-محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص50.

(3)-حسن علي الخربطولي، المرجع السابق، ص101.

(4)-سهيل طقوش، المرجع السابق، ص51.

(5)-محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية. دار الفكر العربي، القاهرة، ص22.

(6) سهيل طقوش، المرجع السابق، ص51.

*ميمون القداح: يعتقد اليهودية و يظهر الإسلام، من ولد الشلعلع من الشام و بالتحديد من سلمية من أهل الفلسفة حاذق بجميع المذاهب و كان صالحا يخدم جعفر بن إسماعيل و سمي بالقداح لأنه كان يقدح العيون. أنظر: سهيل زكار، المرجع السابق: ص212.

**سلمية: بفتح أوله و ثانيه و سكون الميم وهي بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين، ولا يعرفها أهل الشام إلا بسلمية. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص200.

(7)- حسن علي الخربطولي ، المرجع السابق، ص11.

على الداعيان ابن حوشب* و علي ابن الفضل** منذ 268هـ، ثم رأى الإمام نشر الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب، فاختار داعية و هو أبو عبد الله و بعثه إلى ابن حوشب باليمن لتدريبه على وسائل الدعوة سنة 278هـ[1] ،لقب أبو عبد الله بعدة ألقاب منها " الداعي" : " المعلم" و "صاحب البذر"[2]، لأنه نجح في بذر بذور الدعوة الإسماعيلية في أراضي بلاد المغرب و تعهدها بالعناية حتى قامت ثمارها و قامت الدولة العبيدية و كان قد حرث هذه الأرض قبله أبو سفيان و الحلواني الداعيان الشيعيان[3].

أمد ابن حوشب أبا عبد الله مالا كثيرا و رفيقا في سفره و هو عبد الله بن أبي الملاحف[4]، فغادرا اليمن إلى مكة أثناء موسم الحج[5]، و هناك التقى أبو عبد الله بحجاج من كتامة وجلس إليهم يحادثهم ونظرا لعبقرية الداعي وذكائه حاز على إعجاب أهل كتامة به و لما انتهى الحج و هم أهل كتامة بالعودة إلى ديارهم[6]، سألوا أبو عبد الله مرافقتهم في رحلتهم حتى يبلغ مقصده فاستغل أبو عبد الله هذه الفرصة و أخذ يسأل عن أحوالهم السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و جغرافية البيئة[7] ،فهو أراد الوقوف على الأحوال العامة لبلاد كتامة و لما انتهى إلى

---

*ابن حوشب: هو أبو القاسم بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي سمي بالمنصور باليمن لما أتيح له من النصر و هو صاحب الدعوة باليمن، قرأ القرآن و طلب الحديث و الفقه، أنظر، القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة. تح، فرحات الدشراوي، الشركة التونسية لتوزيع، تونس، ط2، 1986، ص3.

**ابن الفضل: هو أبو الحسن علي ابن الفضل و هو من أصحاب الدعوة في اليمن و كان مع ابن حوشب، أنظر المصدر نفسه، ص9.

(1)- علي محمد محمد الصلابي، الدولة العبيدية في ليبيا.(د،ط)، (د،ت)، ص47.

(2)-أبو عبد الله القيرواني ابن أبي الدينار، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس. مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، 1286؛ ص51.

(3)- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص76.

(4)- أبو الحسن علي بن أبي كرم ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ. ج8،مر، محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، 1987م، ص، 12

(5)-عماد ادريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب. تح، محمد يعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص84.

(6)-تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا ،ج1، تح، محمد حلمي محمد أحمد، ص28.

(7)-حسن علي الخربطولي، المرجع السابق، ص32.

مصر[1]، قالوا له: "ما يقيمك هنا، و ليست ببلدك، ولا نرى شيئا من التجارة معك"، فقال:" أطلب التعليم"، فابتهجوا لذلك و قالوا: "ما نرى بلدا واحدا أجدى عليك في التعليم من بلدنا"[2].

فأظهر عدم الرغبة فزاد الحاحهم عليه فلبى طلبهم و ذهب معهم إلى القيروان ليجمع كافة المعلومات الخاصة بالدولة الأغلبية من نقاط ضعف و قوة و ماهي الوسائل النافعة للدخول للبلاد المغربية[3]، وصل عبد الله إلى كتامة يوم الخميس 15 ربيع الأول سنة 280هـ و اتجه إلى جبل إيكجان[4]، أين سمعت كثير من قبائل البربر عن أبي عبد الله و عظم أمره[5]، لكن أخباره وصلت إلى ابراهيم بن أحمد الأغلبي فأرسل عامله للاستقصاء عن أمر أبو عبد الله، فأخبره عامله بأنه يأمر بالخير و العبادة[6]، إلا أنه سرعان ما تفطن إلى حقيقته لكنه عجز عن التخلص منه، إذ كان محاطا من قبل بربر كتامة[7]، ثم تعرض أبو عبد الله إلى مؤامرة خطيرة هدفها تفريق صفوف بني سكتان الذين احتضنوا أبو عبد الله فقرر مغادرة إيكجان إلى تازورت تجنبا لخطر إنقسام بني سكتان، ومنها وجه الداعي ضرباته إلى الأغالبة[8]، أظهر الداعي من الحزم و الشجاعة و المقدرة السياسية و الكفاءة العسكرية ما جعله ثقة لمن حوله من القادة و الجنود فشجعه ذلك على كشف دعوته و بأنه يدعو للرضى من آل البيت النبوي[9]، فاستطاع أن يستولي على جميع النقط ما بين حصنه في جبال الأوراس حتى الأغالبة إذ سيطر على طبنة عام 293هـ، و هي من أغنى المدن الأغلبية بعد القيروان[10]،و سيطر على قسطيلية و قفصة، فعجل زيادة الله

(1)-المقريزي، المصدر السابق، ص28.

(2)- عماد ادريس، المصدر السابق، ص85.

(3)-المقريزي، المصدر السابق، ص28.

(4)-حسن علي الحزبطولي، المرجع السابق، ص38.

(5)-ابن الأثير، المصدر السابق، ص11.

(6)-سهيل طقوش، المرجع السابق، ص40.

(7)- حسن علي الحزبطولي، المرجع السابق، ص41.

(8)-عماد ادريس، المصدر السابق، ص89.

(9)- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص40.

(10)- المرجع نفسه، ص72.

بالرحيل في جمادى الأخرى إلى مصر سنة 296هـ[1]، دخل أبو عبد الله للقيروان و أعلن أن الإمام الحقيقي للمسلمين هو عبيد الله المهدي، و أنه قريبا سيصل بلاد المغرب[2]، فانظم إليه بعضا من قواد الأغالبة أين أصبح جيشه يقدر بمائتي ألف مقاتل للدفاع عن المذهب الشيعي الإسماعيلي كما اعتمد عبد الله على القوة و العنف للقضاء على مذهب السنة[3].

أرسل عبد الله الداعي إلى عبيد الله يطلب منه المجيء فارتحل عبيد الله من سلمية بالشام إلى مصر ثم إلى الإسكندرية في زي التجار[4]، إلا أن المكتفي علم بذلك و أرسل كتاب إلى عامل مصر عيسى النوشيري يخبره فيه عن عبيد الله[5] ،فاستطاع النجاة من النوشيري و الخروج من مصر إلى طرابلس لكن زيادة الله و صلته أخبار عبيد الله أين تم القبض على أبي العباس و بعض الكتاميين أثناء مرورهم بالقيروان[6]، غير أن عبيد الله غير طريقه نحو الجنوب و ذهب إلى سجلماسة*، و بها اليسع بن مدرار فأكرمه، ثم جاء كتاب زيادة الله و يقال كتاب المكتفي بأن المهدي داعيته في كتامة فسجنه اليسع[7].

ثم زحف عبد الله الشيعي سنة 296هـ،في مائتي ألف من العسكر إلى إبراهيم بن أبي الأغلب بالأربس ثم اقتتلوا أياما أين انهزم إبراهيم و فر إلى القيروان[8]، و دخل الشيعي الأربس ثم سار فنزل قمودة و لما سمع بذلك زيادة الله

---

(1)-لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط. تح، أحمد المختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، 1946، ص،40.

(2)- حسن علي الخربطولي، المرجع السابق، ص،50.

(3)- المرجع نفسه، ص،50.

(4)-القاضي النعمان، المصدر السابق، ص،160.

(5)-أبو بكر بن عبد الله ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر و جامع الغرر( الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية). ج6، تح ،صالح الدين المنجد، القاهرة، 1380هـ، 1961م، ص،21.

(6)- عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون( ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر). ج4، مر، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ، 2000م، ص،441.

*سجلماسة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها و بين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب و أكثر أقوات أهلها التمر و غلتهم قليلة، و هم أغنى الناس لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب. أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص،192.

(7)- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص،40.

(8)-ابن خلدون، المصدر السابق، ص، 46.

فر إلى المشرق[1] ، و لما بلغ خبر فراره إلى الداعي قدم إلى رقادة* و خرج أهلها و لحقهم أهل القيروان إلى الشيعي فأمنهم و أكرمهم، و جمع أموال زيادة الله و سلاحه[2]، و لعل خروج أهل القيروان إلى الشيعي يكون بسبب الظروف الصعبة التي آلت إليها حياتهم ، ضف إلى ذلك سخطهم على بني الأغلب و مظاهر الضعف التي أصبحت واضحة عليهم[3].

ثم ارتحل الداعي إلى سجلماسة ليحرر المهدي من سجنه، و في طريقه هناك مر بالدولة الرستمية في المغرب الأوسط فأخضعها و استولى على عاصمتها تيهرت 296هـ[4]، و أرسل إلى اليسع بتلطفه فقتل الرسل[5]، فخرج للقائه أين هزم الداعي اليسع و أخرج عبيد الله من السجن و قرب إليهما مراكب رائعة فركبا و مشى أبو عبد الله[6]، ووجوه القبائل بين يدي المهدي و أبو عبد الله يبكي من الفرح و يقول:" هذا مولاي و مولاكم"[7] ، فأقام المهدي أربعين يوما في سجلماسة[8] ،ثم توجه إلى إفريقية، وكان دخوله إليها في أزيد من عشرين ألف بين فارس و راجل ووصل إلى رقادة يوم الخميس من ربيع الآخر سنة 297هـ[9]، و نزل بقصر من قصورها و هو قصر الصحن[10]، فسلم الشيعي ما كان بها من أموال للمهدي[11]، غير أن ابن خلكان يرى بأن اليسع قتل المهدي

---

(1)-ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 46.

*رقادة: بلدة كانت بإفريقية بينها و بين القيروان أربعة أيام، اتخذها الأغالبة دارا و مسكنا و موضع فرجة للملوك، سكنها عبيد الله المهدي إلى أن انتقل إلى المهدية سنة 308هـ. انظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص، 55.

(2)-ابن الخطيب، المصدر السابق، ص،40.

(3)- محمد الطالبي، الدولة الأغلبية( التاريخ السياسي 184-296هـ\800 -909م)، تح: المنجي الصيادة، مر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995؛ ص،733.

(4)-أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص،230.

(5)-ابن خلدون، المصدر السابق، ص،47.

(6)-أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص،231.

(7)-ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص، 52.

(8)-محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص،27.

(9)-ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص،52.

(10)-ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،(د،ت)، ص، 97.

(11)- حسن ابراهيم حسن، طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، (د،ت)، ص،142.

في السجن لما علم أن الداعي قصد سجلماسة ،ولما وصل الداعي إلى سجلماسة هرب اليسع، فدخل الداعي إلى السجن فوجد المهدي مقتولا و عنده رجل من أصحابه كان خادمه[1]، فخاف الداعي أن ينقض عليه ما دبره من الأمر إذا عرفت العساكر بمقتل المهدي، فأخرج الخادم و قال هذا هو المهدي[2]، وبعد دخول عبيد الله رقادة بويع بالإمامة يوم الخميس 20 ربيع الآخر 297هـ، 2 كانون الثاني 910م[3]، و بهذا قامت الدولة العبيدية في المغرب نسبة إلى عبيد الله نفسه[4]، وقد شكل هذا الأمر اختلافا كبيرا أين انصب الشك حول شخصية عبيد الله هل هو إسماعيلي من سلالة إسماعيل؟ أم هو إسماعيلي من أنصاره لا من سلالته؟،إذ يؤكد نسبه كل من ابن خلدون و المقريزي[5] ،إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالإضافة إلى المصادر الشيعية التي تؤكد هذا النسب منهم عماد ادريس و القاضي النعمان[6]، إذ أن ابن ايبك ينكر و يبطل هذا النسب و يعتبره زائفا إذ قال فيما يخص نسب عبيد الله " اسمه سعيد ابن زوجة الحسين ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح ،فلما دخل المغرب تسمى بعبيد الله وزعم أنه علوي فاطمي و أدعى نسبا ليس بصحيح، كان زنديق خبيث، يتظاهر بالتشيع، حريصا على إزالة الملة الإسلامية"[7]،و دليله على ذلك أن عبيد الله ليس من أبناء علي رضي الله عنه، وأنه لما دخل إلى المغرب قام بقتل العلماء و الفقهاء و الأئمة و الصالحين[8]، و بهذا يتمكن من إفساد عقول الناس و نشر دعوته، و كذلك اعتبر الذهبي بأن نسبه إلى علي رضي الله عنه غير صحيح و باطل و أنه ادعى ذلك النسب[9].

(1)-ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، مج3، تح. حسان عباس، دار صادر، بيروت، ص،118.

(2)-المصدر نفسه ، ص،118.

(3)- سهيل حقوش، المرجع السابق، ص،77.

(4)- حسن إبراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص،143.

(5)-ابن خلدون، المصدر السابق، ص40.المقريزي، المصدر السابق، ص،12.

(6)-عماد ادريس، المصدر السابق، ص،36.

(7)- ابن أيبك، المصدر السابق، ص،5.

(8)-المصدر نفسه، ص،6.

(9)-سعد بن موسى الموسى، موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية نسبا و معتقدا، دار القاسم للنشر و التوزيع، الرياض، ص،22.

ويقال كذلك أن جعفر بن علي كانت له جارية فعشقها رجل من القرامطة ، و قيل من اليهود دفعت له مالا فكان يهواها و تهواه ، و قتلت جعفرا مولاها وولدت جد عبيد الله[1]، و من المنكرين نسب العبيدين نجد كذلك ابن كثير إذ يقول: ' الذين يدعون أنهم فاطميون و ليسوا كذلك و نسبتهم إلى ديصان بن سعيد الخرمي و ديصان هذا كان يهوديا و لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله و تلقب بالمهدي و اسمه سعيد'[2]، إذن فابن كثير و ابن أبيك يتفقان على أن عبيد الله اسمه سعيد و أن نسبه إلى آل البيت غير صحيح.

لا غرو إذن أنه هناك اختلاف بين المؤرخين حول نسب العبديين إلى إسماعيل فهناك من يؤكد صحة نسبهم و هناك من ينكره عنهم، و هذا يعود ربما إلى الاستتار الذي تبعه الأئمة في المشرق فلم يتم تتبع تاريخهم[3]، و تحديد نسبهم بشكل دقيق فالخلفاء العبديين تكتموا عن نسبهم إذ أن المعز لما دخل مصر و لقيه أشرافها سألوه عن نسبه، اكتفى بأن سل نصف سيفه و قال " هذا نسبي[4]، ونثر عليهم دنانير و قال هذا حسبي"[5]، و من خلال قول المعز يتضح أنه كان جد حريص على ذكر نسبه، و على الرغم من إخلاص الداعي للمهدي إذ تولى أمر دعوته، و أنقذه في سجلماسة من اعتقاله و اعترف بحقوقه. إلا أنه حدث شرخ كبير في علاقتهما، إذ أن القاضي النعمان يعتبر سبب هذا أن أخ الداعي أبو عبد الله ، كان يحرضه و يخوفه هو و أصحابه على أنفسهم من المهدي، فتآمروا على المهدي[6].

---

(1)- أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم. تح :التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ص،29.

(2)- الحافظ عماد الدين بن كثير القرشي الدمشقي ، البداية و النهاية. مج15، تح :عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلام، 1998م، ص،538.

(3)- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365ه/909-975م التاريخ السياسي و المؤسساتي). دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص،67.

(4)- السيوطي، المصدر السابق، ص:4.

(5)- ابن حماد، المصدر السابق، ص:11.

(6)- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص:115.

فجمع عبد الله حوله وجوه كتامة بعد أن كان يقوم بإخضاع المعارضين لعبيد الله من القبائل، و تكلم معهم في أمر عبيد الله من أجل خلعه نتيجة لأفعاله القبيحة و أنه ليس المهدي الذي كان يدعو له، فعقدوا على امتحانه معهم عربة بن يوسف الذي أخبر المهدي فيما بعد بما يخطط له الداعي[1]، إلا أن رده عليهم كان متأنيا حتى يتأكد من أمرهم و عندما زال الشك باليقين قرر المهدي أن يتخلص من الداعي و من معه[2].

أمر بقتل الداعي و أخاه يوم الثلاثاء سنة 297هـ في بستان القصر و أمر بهما فغسلا و كفنا و صلى عليهما و أقبل على عبد الله و قال " رحمك الله و جازاك الله في الآخرة "و التفت إلى أبي العباس و قال: " ولا رحمك الله يا أبا العباس فإنك صددته عن السبيل" ،و أمر بدفنهما في موضعهما الذي قتلا فيه في البستان[3] ،غير أن القاضي النعمان يخالف ابن حماد في شأن قتلهما و يقول أنه تم قتلهما يوم الاثنين من ناحية النهار يوم النصف من جمادة الآخرة سنة 298هـ[4]، و دفن بالجبان فكان لمقتل الداعي أثر سيئ في نفوس الكتاميين.

وهكذا كانت نهاية من انسل سلطان البلاد المغربية من الأغالبة و الرستميين و دولة بني مدرار[5]، و أقام للعبيديين العرش الوطيد و الملك السعيد و انصرف عبيد الله بعدها ليثبت حكمه في البلاد المغربية.

---

(1) -ابن عذارى، المصدر السابق، ص،99.

(2) -القاضي النعمان، المصدر السابق، ص،115.

(3) -ابن حماد، المصدر السابق، ص،43.

(4) -القاضي النعمان، المصدر السابق، ص،316.

(5) - محمد حسن الأعظمي، عبقرية الفاطميين( أضواء على الفكر و التاريخ الفاطمي)، منشورات دار مكتبة الحياة، (د، ط)، ( د، ت)، ص،79.

# الفصل الأول

## نظم الجيش الفاطمي

المبحث الأول: تركيبة الجيش الفاطمي

المبحث الثاني: الأسلحة و التسليح في الجيش الفاطمي

المبحث الثالث: مرتبات الجند الفاطمي و إقطاعاتهم

**المبحث الأول: تركيبة الجيش الفاطمي:**

إن الجيش عصب الأمم به تقاس قوتها و تتحقق عظمتها و عن طريقه تكتسب الدول هيبتها و يتوفر احترام الجميع لها و كلما كان الجيش ضخما كان أهيب لها و ادعى احترامها و تقديرها[1]؛ كذلك بالنسبة للدولة الفاطمية رأى أنها بحاجة إلى جيش قوي يحميها ويساعدها على مد نفوذها إلى أراضي الدولة الإسلامية[2].

مما لا شك فيه أن نواة الجيش الفاطمي بدأت تتشكل مع أفراد من قبيلة كتامة، من الذين آمنوا بدعوة أبي عبد الله الشيعي، بعد أن تأكد من أنه ليس في قبائل البربر أكثر عددا و لا أشد شوكة من كتامة[3]، حيث قالوا في إحدى المعارك مع الأغالبة:" قد ترى ما اجتمع علينا من الخلائق و نحن بينهم قلة، و الحرب جدع... تجردوا كما تراهم للحرب، و نحن من لا نلقي بأيدينا إلا أن يفتح الله لنا أو نموت عن آخرنا"[4].

فقد أقاموا هذه الدولة و ساندوها و حموها من كل الأعاصير التي تعرضت لها في بلاد المغرب و بهم فتحت مصر[5]، أما الإقطاعات التي تمتعت بها العناصر الكتامية من الجيش النظامي الذي ألف الداعي نواته الأولى، فقد قسم كتامة أسباعا، و جعل لكل سبع منها عسكرا و قدم عليه مقدما، و أطلق لكل موضع داعيا و سمى المقدمين و الدعاة المشايخ[6].

و ذلك أن منشأ الانفجار الذي أحدثه الفاطميون و تعاظم قوتهم العسكرية بشكل خارق للعادة يعود إلى قوة كتامة الذين دخلوا تحت إمرتهم، فمنهم من أراد بذلك بوجه الله و منهم من أراد الدين و الدنيا

---

(1) - عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية( قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش)، دار الثقافة و النشر و التوزيع، القاهرة، 1411هـ 1991م، ص، 232.

(2) - سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، موسوعة مصر عبر العصور( تاريخ مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993،ص، 314.

(3) - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص،100.

(4) - عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 234.

(5) - أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، مطبعة بيكار و شركائه، تونس، 1323، ص،36.

(6) - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص،224.

ومنهم من تبعه يرجو الذكر و الرئاسة، و منهم من الظم خوفا و تقية و مدارة[1]، و قد ألف بنو سكتان و جميلة الفريق الأول من الأولياء، و هو عبارة عن نواة جيش يضم الأنصار الذين دافعوا عن قضية الداعي، أما البطون الكتامية الأخرى و هي أجانة و لماية، و ملوسة و لمتوسة و عشمان، فقد انضمت شيئا فشيئا إلى الداعي، إلا أن تحققت حوله وحدة كافة لبطون كتامة التي قسمها[2].

و هكذا بدأ منذ عهد المهدي حشد الجنود في كافة الكور حيث ستظل مهام قيادة الجيش و إدارة الأعمال حكرا على مشايخ كتامة من الطائفة الإسماعيلية[3].

فالداعي هو أول من استنبط و طبق نظاما سياسيا و عسكريا يسمح للكتاميين بإظهار كل ما يتميزون به من تفوق عددي و عصبية قبلية، إذ كان المشايخ يمارسون السلطة السياسية و العسكرية في آن واحد[4]، فكتامة كانت لها مكانة واسعة لدى الخلفاء الفاطميين إذ نجد المعز لدين الله يمدح الكتاميين و يذكر بموقفهم في قوله:" فهؤلاء أتونا طائعين و بذلوا لنا أنفسهم، و مضت وهي ذلك أسلافهم و بنت عليه أخلافهم للسلف منا و الخلف... و الله ما وفت أمة لنبي من الأنبياء و لا لإمام من الأئمة...ولا وفى لها وفائهم لنا ووفاءنا لهم"[5].

بالإضافة إلى الكتاميين هناك عنصر آخر في الجيش الفاطمي لا يقل أهمية عن الكتامين و هم الصقالبة*، فمنذ أن خرج المهدي من سلمية كان محاطا بمجموعة من الحرس تتألف من بعض النصارى من ذوي الأصل الصقلي بلا شك المسخرين أنفسهم قلبا و قالبا لخدمة مولاهم سواء كانوا عبيدا أو موالي فإنهم سيتولون المكانة

---

(1) – المصدر نفسه، ص، 127.

(2) – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 540.

(3) – عبد الله محمد جمال الدين: المرجع السابق، ص، 233.

(4) – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 541.

(5) – القاضي النعمان،(ت،363هـ)، المجالس و المسايرات، تح:الحبيب الفقي و آخرون، دار المنتظر، بيروت، 1996م، ص، 248.

* الصقالبة: منهم مجوس و منهم نصارى و من مجوسهم من يعبد الشمس: ليس لهم بحر ملح لأن بلدهم بعيد من الشمس، فمياههم حلوة و من كان منهم إلى الشمال لم يسكن من شدة البرد و كثرة الزلازل؛ و لهم مدن و صناعات و كنائس و قلاع، أنظر، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، القصد و الأمم ( في التعريف بأصول أنساب العرب و العجم و من أول من تكلم بالعربية من الأمم)، مكتبة القدس، 1350، ص، 35.

الأولى في الجيش منذ قيام الخلافة الفاطمية[1]، إذ قال بعض العبيد الصقالبة للمعز لدين الله "فنحن يا أمير المؤمنين، فما ترى أنا قصرنا وقد كان لنا من العناء و الجهاد كمثل ما كان لغيرنا، فمن نازعنا ذلك فليعد مشاهدنا ووقائعنا و مقامتنا ومن استشهد منا."[2]

وهذا القول يؤكد أن الصقالبة كانوا من عناصر الجيش الفاطمي منذ قيام الدولة الفاطمية في المغرب ؛ مما جعلهم سلكا ممتازا تتمثل مهمته إما في تأطير الكتائب أو حراسة الإمام في ساحة الوغى و نيل شرف القتال إلى جانبه[3]، و قد اشتهر منهم جوهر الصقلي* و صابر الخادم الذي تمكن من إلحاق هزيمة نكراء بجيش الروم في البحر سنة 316هـ، حيث عاد إلى المهدية** محملا بغنائم و أموالا و أسلابا كثيرة[4].

وبهذا بلغ الصقالبة مراتب سامية في جيش الفاطميين، إلا أنه استغل بعض القواد منهم مناصبهم العسكرية لإشباع فهمهم المادي و الانفراد بالمناطق التي وقعت تحت أيديهم منهم مظفر و قيصر[5].

لم يقتصر الجيش الفاطمي على الكتاميين و الصقالبة فقط، و إنما كانت هناك عناصر أخرى، و إن لم تكن أعدادها كبيرة، إلا أنه كان لها دور فعال في الجيش و منهم الرومانيين الذين تميزوا عن غيرهم بصناعة كل أنواع

---

(1) ـ حسن ابراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص، 156.

(2) ـ القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، المصدر السابق، ص، 248.

(3) ـ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 541.

* جوهر الصقلي: ولد بصقلية بين سنتي 305-307هـ، عرف بحسن السياسة و المهارة الحربية، مولى المعز الذي كناه بأبي الحسين و قربه منه، تدرج في المناصب حتى عينه المعز كاتبا له سنة 341هـ، قاد جيش المعز لفتح مصر و منه إلى الشام، أنظر، علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي و قائد المعز لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1963، ص، 16.

** المهدية: هي مدينة بناها المهدي في مشارف إفريقية و سكنها، يقال أنه لما عمرها قال: "أمنت على العلويين"، و صعد سورها و رمى سهما و قال : إلى هنا ينتهي صاحب الحمار "، أنظر، أبو العباس القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ، القاهرة، 1982م، ص، 151.

(4) ـ ابن عذارى، المصدر السابق، ص، 193.

(5) ـ المقريزي، المصدر السابق، ص، 145.

الأسلحة و كل ما يحتاج إليه الجيش لأداء مهامه العسكرية[1].

إضافة إلى السودانيين الذين انظموا في فرق خاصة داخل الجيش تعمل في ظروف استثنائية منها تعذيبهم للمخالفين للسلطة الفاطمية، و بلغ عددهم خمسين ألفا و زاد عددهم في عهد الخليفة المستنصر بالله[2]، و يعود الفضل في الإكثار من العناصر السودانية في الجيش الفاطمي إلى السيدة أم الخليفة المستنصر و هي في الأصل جارية سوداء تحظى بها الخليفة الظاهر بأمر الله و التي كانت صاحبة السلطة في بداية تولي المستنصر بالله فاستكثرت من العناصر السودانية[3].

كما وجد ضمن الجيش الفاطمي العنصر العربي، و البدو من أهل الحجاز الذين يجيدون استعمال الرماح أما الزويلين نسبة إلى زويلة* قاعدة فزان يؤلفون داخل الجيش الفاطمي فيلقا خاصا بقيادة شخص من بني جنسهم و قد برزوا أثناء حصار أبو يزيد لمدينة المهدية ؛ و كانوا مع القائد جوهر أثناء دخوله مصر[4].

و قد برز عنصر آخر أثناء محاربة الخليفة المنصور لأبي يزيد و يتمثل في قبيلة صنهاجة، و التي أصبحت ركنا أساسيا يعتمد عليه الفاطميين في تصديهم لأعدائهم و في توسيع حدود دولتهم.[5]

لقد كانت الدول في القديم تعتمد في جمعها لجيشها على نظام التطوع و على كل من يمكنه حمل السلاح أن يلبي داعي القتال حيث يدعى إليه فتدفعه الحمية و الشجاعة إلى الاشتراك في الدفاع عن الوطن و مع تقدم الأمر كان لابد من سن أنظمة جديدة، فتطور الوضع إلى نظام تجنيد العسكر[6].

---

(1) – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 549.

(2) – سيدة اسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 314.

(3) – عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي( من الفتح العربي إلى معركة المنصورة)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970، ص، 29.

* زويلة: بناها عبد الله بن خطاب الهواري و سكنها هو و بنو عمه 301هـ، أنظر، الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبع بريل، 1862م، ص، 300.

(4) – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 545.

(5) –عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 187.

(6) –عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص، 30

لكن الخلفاء الفاطميين اعتمدوا على شراء الجنود مما سمح لعناصر أخرى أن تشكل فرقا داخل الجيش الفاطمي و منها الأتراك و الديلم* و الأرمن، إلا أنه يعود الفضل في تواجد عدد كبير من الأرمن داخل الجيش الفاطمي إلى بدر الجمالي، الذي استطاع فرض الأمن و النظام في مصر بعد أن انحصر نفوذ الخليفة المستنصر داخل القصر و تقاسمت فرق الجند أقاليم الدولة، فدخل القاهرة بجنوده الأرمنيين و قضى على رؤوس الفتنة، فأصبح معظم الجيش من الأرمن[1] و يعبر عنه فؤاد سيد نقلا عن المقريزي "فصار من حينئذ معظم الجيش من الأرمن و ذهبت كتامة و صاروا من جملة الرعية بعدما كانوا وجوه الدولة و أكابر أهلها"[2].

و يذكر ناصر خسرو الرحالة الفارسي عنصرا آخر و هم المصامدة إذ يقول فيهم أنهم من أرض ذات مراع واسعة و فيها دواب كثيرة و سكانها سود كبار العظام غلاظ أقوياء البنية يحاربون راجلين بالسيف، ولا يستطيعون استعمال غيرها من الآلات[3].

شرط المعز على ولاة الأعمال لما انتقل إلى مصر عمن يظهرون مهارة حربية من أولاد الناس و أفرد لهم المعز "حجر" في قصره يعلمون فيها فنون القتال و سماهم بسبب سكناهم في هذه الحجر باسم صبيان الحجر أو غلمان الحجر[4]، و أنشأ سبع حجر واختار من أولاد الأجناد ثلاثة آلاف رجل و قسمهم في الحجر و جعل

* الديلم: ينسبون إلى الديلم بن باسل بن ضبة بن دار، و يزعمون أن باسلا قد غزا أرض الأعاجم ثم مات فصار ابنه الديلم من قومه إلى الموضع الذي هلك فيه أبوه باسل تصادف الأعاجم، أنظر، ابن عبد البر، المصدر السابق: ص، 32.

(1) – أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر ( تفسير جديد). الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1453هـ، 1992م، ص: 145.

(2) – المرجع نفسه، ص، 145.

(3) – ناصر خسرو، سفر نامة. تر، يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، ص، 110.

(4) – تقي الدين احمد بن علي المقريزي، (ت: 845هـ)، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار،ج2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مطبعة بولاق، القاهرة، (د،ت)، ص، 443.

لكل مئة زمام و نقيب و الكل جعل لهم أمير، يقال له الموفق[1]، و لكل منهم ما تحتاجه من خيل و سلاح و غيره و هم يناهزون خمسة آلاف، و لكل حجرة اسم تعرف به و هي المنصورة و الفتح الجديدة...إلخ[2].

عرفوا بالفضل و الشجاعة، و كما كانت الحاجة إليهم تجهزوا و خرجوا مع الزمام الأكبر و عند صبيان الحجر خدام يخدمونهم[3].

و كذلك ظهر في الجيش الفاطمي ما يعرف بطوائف الجند إذ تنسب كل طائفة منهم إلى من بقي من بقايا الخلفاء الماضين، كالحافظية و الآمرية من بقايا الحافظ و الآمر[4]، و إلى من بقي من بقايا الوزراء الماضين كالجيوشية و الأفضلية من بقايا أمير الجيوش بدر الجمالي وولده الأفضل[5]، و إلى من هي منتسبة إليه في الوقت الحاضر كالوزيرية، أو غير ذلك من القبائل و الأجناس كالأتراك و الأكراد و الغز و الديلم و غيرهم من الطوائف و كل طائفة منهم قواد مقدمون يحكمونهم[5].

إذن فتركيبة الجيش الفاطمي المتنوعة من مغاربة و مشارقة شكلت نوعا من التنافس و الحقد فيما بينها، إذ أنه من الطبيعي أن كل خليفة يقرب إليه طائفة على حساب أخرى، فالمعز لدين الله قرب إليه الكتاميين لاحتضانهم الدعوة، و هناك من الخلفاء من قرب إليه عبيد الشراء و زاد من عددهم[6]، فأدى هذا التنوع و التباين في قوات الجيش الفاطمي إلى نشوء صراع دائم بين مختلف طوائفه في أول الأمر بين المغاربة و المشارقة[7]،

---

(1) – أبو العباس احمد القلقشندي، صبح الأعشى.ج3، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1322هـ،1914م، ص، 481.

(2) – علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة و مدنها و بلادها القديمة و الشهيرة. ج1، مطبعة الأميرية، بولاق، 1306هـ، ص، 9.

(3) -المقريزي، المواعظ و الاعتبار. ج1، المصدر السابق، ص، 444.

(4) – سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص. 315.

(5) – عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص، 30.

(5) – القلقشندي: صبح الأعشى.ج3 ،المصدر السابق، ص،482.

(6) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص،273 .

(7) – سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 314.

فقد خشي المغاربة على مكانتهم في الدولة و ثارت فتنة بينهم و بين المشارقة انتهت بإقصاء زعيمهم أمين الدولة ابن عمار سنة 387هـ، و إحلال برجوان محله و عندما قتل برجوان سنة 390هـ، اعتبر الأتراك ما حدث ضربة لهم من بربر كتامة، و كذلك حدث خلاف بين الأتراك و السودانيين فكان له أثر سيئ في حالة مصر الداخلية[1].

لقد خصص الفاطميون ديوانا يتم فيه ترتيب كل هذه العناصر من الجيش كغيرهم من المسلمين و الديوان موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال و الأموال و من يقوم بها من الجيوش و العمال[2]، وأصل تسميته بالديوان يقال أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه أي مجانين فسمي موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان[3]، و الديوان بالفارسية اسم الشياطين فسمي الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمور و وقوفهم على الجلي و الخفي، و جمعهم لما شذ و تفرق ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان[4].

و أول من وضع الديوان في الإسلام هو عمرو بن الخطاب رضي الله عنه[5]، و اختلف الناس في سبب وضعه فقيل سبب وضعه أن أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين فقام و خطب في الناس إن يمدهم منه فقال رجل "يا أمير المؤمنين رأيت الأعاجم يدوتون ديوانا فدون أنت لنا ديوان"[6]، و يقال كذلك أن عمرو بعث بعثا و كان عناده رجل اسمه هرمزان و هو الذي أشار عليه أن يضع لهم ديونا[7].

---

(1) - أمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص، 667.

(2) -أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية. ( د،ط)، (د، ت)، ص،269.

(3) - القلقشندي، صبح الأعشى ج3، المصدر السابق، ص،482.

(4) - أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، (ت، 458هـ)، الأحكام السلطانية ، تح، محمد حامد الفقي: دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ، 2000م، ص،237.

(5) - الماوردي، المصدر السابق، ص، 269.

(6) - أبو يعلى الفراء، المصدر السابق، ص، 257.

(7) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص، 302.

و يستحق أن يثبت في الديوان من تكون فيه خمسة أمور و هي البلوغ، الحرية إذ لا يثبت في الديوان مملوك أو تابع لسيده، و الإسلام، و السلامة من الآفات المانعة من القتال و أن يكون فيه إقدم على الحرب و معرفة بالقتال و يتم ترتيب الجيش في الديوان على ضربين أولهما الترتيب العام و الثاني الترتيب الخاص[1].

الترتيب العام هو ترتيب القبائل و الأجناس حتى تتميز كل قبيلة عن غيرها و كل جنس عما يخالفه فلا يجمع بين المتخالفين ولا يفرق بين المتفقين لتكون دعوة الديوان على نسق معروف النسب فيزول فيه التنازع و إن كانوا عجما يتميزون بالأجناس كالترك و الهند أما الديلم و الجيل فإنهم يتميزون بالبلاد[2].

الترتيب الخاص الواحد بعد الواحد، ترتب في السلف بالإسلام فإن تكافئوا في السابقة ترتبوا بالدين، فإن تقاربوا بالدين ترتبوا بالسن، و إلا بالشجاعة فإن تقاربوا فيها فيترك الخيار لولي الأمر بأن يرتبهم بالقرعة أو يرتبهم عن رأيه و اجتهاده[3].

لكن الفاطميين أسقطوا الإسلام و الحرية، و ألحقوا ديوان الجيش بديوان آخر سمي بديوان الرواتب[4]، و عن ديوان الجيش يقول القلقشندى أنه مقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول خاص بديوان الجيش له صاحب، و له رتبة جليلة، و مكانة رفيعة، تمكنه من الانتقال إلى تولي منصب الوزارة و هو خاص بعرض الأجناد و من جند لهم و يعاون صاحب هذا الديوان نقباء الأمراء يطلعونه على أحوال الأجناد من الحياة و الموت و الغيبة و الحضور و غير ذلك، و الثاني خاص بديوان الرواتب مهمته معرفة ما لكل موظف في الدولة من راتب و الثالث ديوان الإقطاع و هو مخصص بما هو مقطع للأجناد.[5]

---

(1) – القلقشندي، صبح الأعشى. ج3، المصدر السابق، ص، 110.

(2) – الماوردي، المصدر السابق، ص، 270.

(3) – القلقشندي، صبح الأعشى. ج3، المصدر السابق، ص، 112.

(4) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 239.

(5) – القلقشندي، صبح الأعشى. ج3، المصدر السابق، ص، 492.

لقد قسم الفاطميون عناصر الجيش إلى مراتب لكل مرتبة منها أهميته و وظيفتها، منها مرتبة الأمراء[1] و تنقسم بدورها إلى ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: هي مرتبة الأمراء المطوقين و هم الذين يخلع عليهم أطواق الذهب في أعناقهم و صاحب هذه المرتبة يتمتع بأعلى مكانة في الدولة و من حقه أن يتولى جميع المناصب العليا، و يقود كل منهم ألف جندي[2].

المرتبة الثانية: و هي مرتبة أمراء القضب الذين يخرجون في المواكب بقضب من فضة يخرجها لهم الخليفة من خزانة التجميل، و لكل منهم الحق في أن يخدمه من أربعين إلى خمسين فارس[3].

المرتبة الثالثة: و هم أدوان الأمراء الذين لم يؤهلوا لحمل القضب و يشبهون أمراء العشرات و الخمسات و أكثرهم من أولاد الأمراء المتوفين[4].

أما المرتبة الثانية :فهي مرتبة خواص الخليفة أو حرسه الخاص الذي يشبه إلى حد كبير في وقتنا الحالي الحرس الجمهوري[5]، و هم أنواع ثلاثة:

أولهم :طائفة صبيان الحجر مهمتهم خدمة القصر و من بينهم كان يختار القواد و الأمراء الذين أثبتوا شهامة و شجاعة[6].

ثانيهم :صبيان الخاص , و هم عبارة عن أولاد الأمراء و العساكر و عبيد الدولة الذين يقومون بالخدمة الخاصة بالخليفة يقيمون في مساكن خاصة بهم و يتم تدريبهم على الفروسية[7].

---

(1) ـ سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 386.

(2) ـ القلقشندي، صبح الأعشى. ج5، المصدر السابق، ص، 476.

(3) ـ عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 218.

(4) ـ المرجع نفسه، ص، 219.

(5) ـ علي مبارك، المرجع السابق، ص،9.

(6) ـ المقريزي، المواعظ و الاعتبار. ج1، المصدر السابق، ص، 443.

(7) ـ عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين و رسومهم في مصر( دراسة شاملة لنظم القصر الفاطمي و رسومه). ج2، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة 1978، ص،29.

ثالثهم: الأساتذة و هي فرقة من العبيد تحمل لقب أستاذ و هم نوعين محنكين* و غير محنكين و هم أقل درجة من المحنكين و يعملون في وظائف البلاط و أعمال الخدمة العامة، أما المحنكون أقرب الناس إلى الخليفة، حيث يطلعهم على أسراره، و يعين من بينهم صاحب المجلس و زم الرحال[1].

أما مجموعة الجنود السود تنحصر مهمتهم في حراسة قصر الخليفة ليلا، و يلقب من على مقدمتهم سنان الدولة مهمته دق الطبول بعد صلاة العشاء، و قفل باب القصر[2].

أما المرتبة الثالثة: من مراتب الجيش هي مرتبة طوائف الجند و التي تنسب إلى خليفة من الخلفاء كالحافظية و الأميرية أو وزير من الوزراء، ووجدت طائفة أخرى لها و وظيفتها و هي حملة السلاح أو صبيان الركاب مهمتها حمل السلاح حول الخليفة في مراكبه و لهم اثنا عشر مقدما و قائد و الكبار منهم يتولون الأعمال الكبرى[3].

على الرغم من اختلاف عناصر الجيش الفاطمي إلا أننا نلمس نوعا من التنظيم في صفوفه إضافة إلى إعطائه أهمية بالغة فلم تقتصر وظيفة جيش الدولة الفاطمية على المعارك و الحروب فقط و إنما كانت له عدة وظائف داخلية و منها تميزت وظيفته بالازدواجية فإلى جانب المعارك و الحروب كان الجيش يتولى خدمة الأمراء و الخلفاء و القصر و غيرها من الوظائف ذات الصبغة الحربية.

* الأساتذة المحنكون: وهم الذين يديرون عمائهم على أحناكهم كما تقوم العرب و المغاربة الآن، أنظر، القلقشندي، صبح الأعشى. ج5، المصدر السابق: ص،481.

(1) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 218.

(2) – القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص، 477.

(3) – جمال الدين أبي المحاسن بن تغري بردي الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ج4، تق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ، 1992م، ص، 79.

المبحث الثاني: الأسلحة و التسليح في الجيش الفاطمي.

أولى الفاطميون تسليح جيشهم عناية كبرى و حرصوا على توفير أنواع السلاح المختلفة له و رصدوا مبالغ ضخمة للإنفاق على هذه الناحية[1]، لأن السلاح هو آلة الحرب و عدة القتال و هو مظهر قوة الدولة و آية عظمتها و تفوقها ووسيلة للدفاع عن نفسها و تثبيت مركزها و قهر عدوها، فليس غريبا أن نجد الفاطميين يهتمون بالسلاح[2].

يعتبر السيف من أهم الأسلحة لما كان له من دور كبير في معارك المسلمين و كان المسلمون كذلك يستعملونه بكفاءة و قدرة عالية[3]، و من أشهر السيوف المسلمة، سيف ذو الفقار الذي كان لعلي بن أبي طالب وسيف الصمصامة الذي كان لعمرو ابن معدي كرب[4].

كذلك السيف بالنسبة للفاطميين يعتبر من أهم الأسلحة، كان منه القصير و المتوسط و الطويل و كانت تتخذ له الحمائل على الأكتاف أو تعد له المعاليق[5]، و يستعمله الفرسان و المشاة على حد سواء، له حدان و طرفه مدبب يستخدم كالخنجر، و كانت قبضته بسيطة الصنع و مقعرة من الجانبين لسهولة القبض عليه، و ترصع أحيانا بالأحجار النفيسة أو المعادن القيمة، و كان النصل من البرونز السميك أو المنتفخ قليلا عند الوسط وقد تمتد على طوله شطبة[6].

---

(1) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 258.

(2) – عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص،36.

(3) – محمد فرج، المدرسة العسكرية الإسلامية، دار الفكر العربي، ط2، ( د. ت)، ص، 396.

(4) – المرجع نفسه، ص، 399.

(5) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 260.

(6) – عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص، 36.

و السيف هو سلاح الهجوم و القوة الضاربة في يد الجند، يهجمون به على العدو و الخيل، و على مر العصور الوسطى اعتبر السيف من أشهر الأسلحة و أكثرها استخداما و أعظمها ذكرا أو اسما حتى أطلقوا عليه عدة أسماء[1].

فمن منطلق أن السيف هو السلاح التقليدي الذي استعمله المسلمون و منهم الفاطميون و ما يحمله من معاني و رموز حتى إنه أصبح يقدم مع الهدايا التي تقدم للخليفة إذ لما استقر المعز لدين الله في القاهرة 362هـ، قدم له جوهر هدية اشتملت على مائة و خمسين فرسا مسرجة ملجمة بعضها مذهب و بعضها مرصع و كان ضمنها مائة سيف محلاة بالذهب و الفضة، و لم يعرف أوصاف تلك السيوف، و هل كان جوهر قد استردها من الشام أو فارس أو صنعها السلاحين في مصر[2].

و استعمل الفاطميون كذلك الأقواس و القوس عبارة عن آلة خشبية تشد الطرفين بخط أقصر من قبضته ليأتي تقوسها، و من الأقواس صنع الفاطميون آلات مركبة لقذف السهم شديدا و كان بعضها يقذف عدة سهام دفعة واحدة و المقاليع أبسط آلات القذف و تحق بالعصي[3]، و منها قوس اليد التي تشد باليد، فتخرج السهام التي تشبه الجراد لصغر حجمها دفعة واحدة في جهات متعددة، و كذلك قوس اللولب[4].

و من آلات الرمي الشهيرة التي استعملها الفاطميون كذلك السهام[5]، و كانت تصنع من الخشب و تركب فيها من الأمام قطعة حديدية مدببة[6].

---

(1) ـ محمد فرج، المرجع السابق، ص392.

(2) ـ عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص37.

(3) ـ عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 260.

(4) ـ عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص37.

(5) ـ محمد عبد العظيم يوسف أبو النصر، السلاجقة تاريخهم السياسي و الفكري، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 2001، ص366.

(6) ـ عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص37.

استعمل الفاطميون الرماح* للطعن و هي عود طويل في رأسه حربة مدببة سميت السنان تتصل في حديدة أسفلها سميت الزج و كان الهلال شعار المسلمين يوضع عليها و منها سهام الخلنج[1].

وعرفت دولة الفاطميين الحراب أيضا و هي أقصر من الرماح و كانوا يستعملونها بمهارة كبيرة و عرفوا الخنجر و الطبر وهو لفظ فارسي جمع مفرده طبرزينات و معناه الفأس، و استعملوا البلطة كذلك في قطع الأخشاب و تمهيد الطريق أمام الجيش، و تضاربوا عند لقاء عدوهم حين كانت الحاجة تدعوا إلى ذلك[2].

وكذلك عرف الفاطميون الدروع [3] و تستخدم للحماية من ضربات العدو و تقي من السهام، و أولوها قسطا كبيرا من عنايتهم[4]، و هي أنواع منها الحديدية و الفولاذية و الكتانية[5].

و كان المقفى كذلك من آلات الدفاع و يلبس على الرأس و البيضة و الطراف و يلبس على الساعدة و المغفارة و تلبس على الوجه كله، و كان الفارس يلبس التجافيف و هي درع الخيل تقي الطعنات و تؤدي مهمتها مهمة الدروع[6].

استخدم الفاطميون المنجنيق و هو آلة للقذف استخدمها الفينيقيون قديما و أخذها عنهم اليونان ثم الفرس و عنهم أخذها العرب[7]، و المنجنيق من أشهر الأسلحة الثقيلة و أشدها تأثيرا بخاصة في الحصار، و هو أنواع

* الرماح: قال عنها المتنبي:

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

أنظر محمد فرج، المرجع السابق، ص، 399.

(1) ـ عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص،37.

(2) ـ عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 221.

(3) ـ فرجات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 555

(4) ـ محمد فرج، المرجع السابق، ص، 392.

(5) ـ محمد عبد العظيم يوسف أبو النصر، المرجع السابق، ص، 366.

(6) ـ عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 261.

(7) ـ المرجع نفسه، ص، 262.

متعددة تختلف في الحجم فمنها الصغير و الكبير و منها ما يشد بلولب و أقواس ومنها ما يدار شبه القلاع و كانت تستخدم في رمي السهام و الحجارة و النفط[1]، و المقذوفات الخفيفة كانت تثقل بالرصاص، و السوائل كالنفط كانت توضع في كأس وتعلق بسلاسل ،والحجارة تعلق في شبه مقلاع، ثم تحرك وتوضع على حرارته بواسطة رجال فيندفع ما وضع فيها من قذائف و يسقط على الهدف فيقتل أو يحرق[2]، و المنجنيق يستخدم في هدم الحصون بالحجارة، أو لرمي الأعواد بالنبال أو لإحراق تجمعات العدو بالنفط.[3]

و عرفوا كذلك الدبابات و هي آلات حربية تتخذ من خشب سميك و من جلود البقر و الإبل و اللبود و الجلود المنقوعة في الخل لتقيها النار[4]، مهمتها هدم الحصون و هدم الأسوار، مع ضمان الحماية اللازمة للمهاجمين، فهي تحمي طاقمها من نيران العدو، و تتقدم في أرض العدو و تدمر المدافع و تقذف من بعيد مناطق التجمع و الحشد[5].

وهناك آلة حربية سميت " الصبور" مثل الدبابة، و تصنع من الخشب المغطى بالجلد و عاونت على هدم الأسوار[6].

كما استعمل الجيش الفاطمي العجلات لنقل الذخائر و المعدات و كان يوضع فيها قذائف ترس باليد و توضع بزجاجات مملوءة بالنفط، و بذور القرطم المقشور وكان يرمى بها بواسطة سلسلة فإذا صادفت شيئا اشتعلت النار فيه[7].

---

(1) - محمد عبد العظيم يوسف أبو النصر، المرجع السابق، ص، 366.

(2) - محمد فرج، المرجع السابق، ص، 408.

(3) - عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين( 358-567هـ/968-1711م). دار الفكر العربي، ط2، (د-ت)، ص،148.

(4) - محمد فرج، المرجع السابق، ص، 408.

(5) - عطية مصطفى مشرفة، المرجع السابق، ص: 147.

(6) - عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 206.

(7) - عطية مصطفى مشرفة، المرجع السابق، ص، 148.

و الفاطميون لم يهملوا الخيول بل اعتنوا بها و استكثروا منها و اعتنوا بأنسابها[1]، إذ يعتبر الخيل من أسلحة الجند اللازمة و يعتبر كذلك من المقومات اللازمة التي تطلبها ظروف المعركة من حيث المناورة [2].

كما لجأ الجيش الفاطمي إلى الخنادق و كانوا يحفرونها حول مقراتهم لتحميهم، كما فعل القائد جوهر أثناء هجوم القرامطة على مصر إذ حفر خندقا كبيرا أمام الأسوار الشمالية لقاهرة بين المعظم و الخليج، و حفر خندقا آخر شرق المدينة يبدأ جنوبا عند بركة الحبشة و يخترق القرافة إلى أن يصل إلى موضع قبر الإمام الشافعي[3].

لم يغفل الفاطميون إقامة المعسكرات لإراحة الجند أثناء تحركهم و التقائهم على طول الطريق لملاقاة عدوهم[4].

ولا شك أن وفر الفاطميون لجيشهم كل هذه المعدات و الآلات و اهتموا كل هذا الاهتمام، ذلك لأن الدين الإسلامي يريد لأصحابه دائما أن يكونوا في مواطن قوة و أن يتدربوا و يستعدوا لعدوهم و يتخذون من السلاح ما يأمنون به جانبه لقوله تعالى:" و اعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم"[5].قرآن كريم، سورة الأنفال ،آية: 60.

و على الرغم من توفر الأسلحة و تنوعها لدى الفاطميين إلا أنها لم تكن لها الريادة في صنعها إذ أنه لا يوجد ما يثبت في المصادر أن الفاطميين قاموا بصنع هذه الأسلحة فربما كانوا يستردونها من دول أخرى[6].

و هذا لا ينفي اهتمام و عناية الفاطميين بالسلاح إذ أنهم قاموا بإنشاء خزائن للسلاح، فيها مختلف أنواع الأسلحة، إذ يقول المقريزي أن هذه الخزائن كانت تحتوي على سيف ذو الفقار ، و صمصامة عمرو بن معدى

(1) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 206.

(2) – محمد فرج، المرجع السابق، ص، 411.

(3) – أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص، 101.

(4) – عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص، 38

(5) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 260.

(6) – زكي محمد حسن، كنوز الفاطميين. دار الكتب المصرية، 1927، ص، 251.

ركب، و سيف عبد الله بن وهب الراسي و سيف كافور الإخشيدي؛ و سيف المعز و سيف أبي المعز و درع المعز لدين الله، و سيف الحسين بن علي بن أبي طالب، و درقة حمزة بن عبد المطلب، و سيف جعفر الصادق[1].

وقبل هذا كانت المهدية منذ أيام المهدي و القائم مجهزة بخزائن للأسلحة[2]، كما كانت فيها آلاف القطع من الخوذ و الدروع و التجافيف والسيوف المحلاة بالذهب و الفضة، و السيوف الحديدية و صناديق النصول و جعاب السهام الخلنج و صناديق القسي و رزم الرماح، و شداة القنا الطوال و الزرد و البيض[3]، كما أن خزانة السلاح كانت تشمل على عدد كبير من الأدوات التي كانت توزع على حرس الخليفة و حاشيته للسير بها في المواكب و كانت تقاد بعد ذلك إلى خزائن السلاح[4]، كما كان يحمل إليها سلاح من توفي من الأمراء و رجال الحاشية و الحرس[5]؛ ومن الطبيعي أن يكون في خزانة السلاح عمال يتعهدون محتوياتها و يقومون في الوقت المناسب بالإصلاح التي تحتاجه و دهان و صقل و جلاء و شحن و غير ذلك[6].

أما الدرقات و منها الدروع و التروس كانت لها خزائن منفصلة عن خزائن السلاح تعرف بخزائن الدرق، فكانت هذه الخزائن مهمة جدا للفاطميين و يظهر ذلك في اختيار أستاذ محنك للإشراف على خزائن السلاح[7]؛ كما أن الخليفة كان يزورها من وقت لآخر للتفتيش و المراقبة[8]، وخزانة السلاح الرئيسية تقع في القاعة المسماة

---

(1) – المقريزي، المواعظ و الاعتبار، ج1. المصدر السابق، ص، 477.

(2) – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 256.

(3) – المقريزي، المواعظ و الاعتبار، ج1، المصدر السابق، ص، 418.

(4) – زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص، 58.

(5) – المرجع نفسه، ص، 59.

(6) – عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص، 20.

(7) – المرجع نفسه، ص، 20.

(8) – أبو محمد المرتضي عبد السلام بن الحسن القيسراني (ابن الطوير)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تح، أيمن فؤاد سيد، فرانتس شتاينر شتوتغارت، 1412هـ 1991م، ص، 134.

الإيوان الكبير و هي القاعة ذات العمد، التي كانت يجلس بها الخلفاء في استقبالاتهم الأسبوعية كل اثنين و خميس ولكن فيما بعد و في أيام الخليفة الآمر نقل جلوس الخليفة إلى القاعة المعروفة بقاعة الذهب و تحول الإيوان الكبير إلى مستودع السلاح و سميت خزائن السلاح[1].

و توجد كذلك خزينة التجميل و السروج و هي من حقوق خزائن السلاح، أما خزانة التجميل فتحتوي على أنواع من أسلحة يخرج منها للوزير و الأمراء و تحتوي كذلك على الآلات الثمينة التي تستخدم في المواكب الرسمية مثل الرايات الملكية و أسلحة حرس الخليفة و رماح قواد الجيش الفاطمي، و الطبل و النفارات و العماريات لحمل الأشخاص على الجمال و غير ذلك من آلات المواكب[2]، أما خزائن السروج فيصفها ابن الطوير، بأنها تحتوي على ما لا تحتويه مملكة من الممالك[3]، و هي قاعة كبيرة بدورها مصطبة، علوها ذراعان و مجالسها كذلك و على تلك المصطبة متكئات مخلصة الجانبين على كل متكأ ثلاثة سروج متطابقة و فوقه في الحائط وتد مدهون مضروب في الحائط و هو بارز بروزا متماسكا متكئا عليه المركبات الحلي على لجم تلك السروج الثلاثة من الذهب خاصة أو الفضة خاصة أو الذهب و الفضة[4]، و قلائدها و أطواقها لأعناق الخيل و هي بخاصة الخليفة و أرباب الرتب ما يزيد عن ألف سرج إلى غير ذلك، و أما الصاغة كان فيها من المركبين والطرازين عددا جم دائمين لا يفترقون عن العمل[5].

وكلما خرج الخليفة في موكب كان الاهتمام بإخراج من خزائن السلاح ما يحمل الركابية و غيرهم حول الخليفة، و إحدى غايات الموكب الأولى إبراز ما للدولة من نفوذ و أسلحة[6]، وعن احتفالات الفاطميين و ركوب

---

(1) - المقريزي، المواعظ و الاعتبار، ج1، المصدر السابق، ص، 388.

(2) - المصدر نفسه، ص، 418

(3) - ابن الطوير، المصدر السابق، ص،131.

(4) - علي مبارك، المرجع السابق، ج2، ص، 19.

(5) - المرجع نفسه، ص، 19.

(6) - القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، المصدر السابق، ص، 504.

الخليفة يذكرها المقريزي و هي رأس السنة و موسم أول العام و يوم عاشوراء و مولد النبي صلى الله عليه و سلم، و مولد علي بن أبي طالب، و مولد الحسن و الحسين، و مولد فاطمة و مولد الخليفة الحاضر و ليلة أول رجب و ليلة نصفه و ليلة أول شعبان و عيد الفطر و عيد النحر و موسم فتح الخليج و غدير خم[1].

فهذه الاحتفالات لم تكن موجودة لدى الخلفاء الفاطميين في المغرب، فالمهدي أول الخلفاء الفاطميين عاش حياة تقشف[2] و كذلك المعز عاش حياة تشبه حياة المهدي في تقشفها عندما كان في المغرب و دليل ذلك قوله لشيوخ كتامة عندما استدعاهم لمشاهدة حياته في يوم شتاء بارد، إذ قال لهم:" يا إخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء و البرد فقلت لأم الأمراء و إنما الآن تسمع بحيث تسمع كلامنا، أترى إخواننا أن في مثل هذا اليوم نأكل و نشرب و نتقلب في المثقل و الديباج و الحرير و الفنك و السمور... كما يفعل أرباب الدنيا ثم رأيت أن أنفذ إليكم فأحضركم لتشاهدوا حالي إذا خلوت دونكم و احتجبت عنكم... و إني لا أشتغل بشيء من ملاذ الدنيا إلا ما صان و عم بلادكم"[3].

و لعل ما جعل الفاطميين في بلاد المغرب يعيشون حياة تقشف تعود إلى طبيعة سكان بلاد المغرب الذين يستخدمون القليل البسيط من أساليب الحضارة و انشغالهم في إخضاع معارضيهم من القبائل و كان احتفال الفاطميين يتخذ مظهرين أحدهما يتمثل في جلوس الخليفة في الإيوان، و يتمثل الثاني في ركوبه مع جنده و حاشيته[4].

و أثناء الاحتفال يجلس الخليفة على سرير الملك في الديوان الكبير بالقصر و قد كان الأمراء و كبار رجال الجيش يحضرون هذه المناسبة فالوزير يجلس على يمينه، ثم يكون صاحبي الباب و اسفهسلار العسكر على جانبي

---

(1) – المقريزي، المواعظ و الاعتبار، ج1، المصدر السابق، ص، 490.

(2) – عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص، 20.

(3) – ابن سعيد، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة( القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب)، تح، حسين نصار، مطبعة دار الكتب، 1970، ص، 240.

(4) – المصدر نفسه، ص، 240.

الباب يمينا و يسارا يليهم من خارج الباب الأزمة و الأمراء وفق مراتبهم ثم أرباب القضب و العماريات ثم الماثل ومن يترشح للتقدمة و الإمرة من الجنود في الجيش[1]، أما المظهر الثاني فتمثل في ركوب الخليفة و هو يدل على خروج الخليفة و رجال الدولة و الجيش في موكب رسمي، و قد كان هذا الركوب على نوعين المواكب العظام و المواكب المختصرة و كان لكل موكب رسمي صبغة حربية للتأثير في الناس و الرفع من هيبة الدولة[2].

و من الأسلحة التي كانت تحمل في موكب الخليفة السيف الخاص، يقال أنه كان من صاعقة وقعت :و حصل الظفر بها فعمل منها هذا السيف و حليته من ذهب مرصعة بالجواهر وهو في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه و له أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة في الموكب[3].

و كذلك الداوة و هي داوة متخذة من الذهب و حليتها مصنوعة من المرجان تلف في منديل شرب أبيض يحملها شخص من الأستاذين في الموكب أمام الخليفة تكون بينه و بين السرج[4].

و من الأسلحة كذلك الرمح و هو رمح لطيف في حلاف منظوم باللؤلؤ و له سنان مختصر و حلية من الذهب و له شخص مختص يحمله[5].

أما الدرقة و هي درقة كبيرة بكوابج من ذهب يقولون أنها درقة حمزة عم النبي صلى الله عليه و سلم و عليها غشاء من حرير و يحملها في الموكب أمير من أكابر الأمراء له عندهم جلالة[6].

أما السلاح الذي يحمله الركابية حول الخليفة، صماصم مصقولة مذهبة مكان السيوف المحربة و الدبابيس بالكيمخت الأحمر و الأسود و رؤوسها مدورة مضرسة، و للتوت حديد كذلك رؤوسها مستطيلة مضرسة أيضا

(1) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 267.

(2) – عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص، 47.

(3) – القلقشندي، صبح الأعشى. ج3، المصدر السابق، ص، 472.

(4) – عطية مصطفى مشرفة، المرجع السابق، ص، 89.

(5) – ابن الطوير، المصدر السابق، ص، 159.

(6) – القلقشندي، صبح الأعشى. ج3، المصدر السابق، ص، 474.

و آلات يقال لها المستوفيات و هي عمد حديد طول ذراعين مربعات الأشكال بمقابض مدورة بعدة معلومة من كل صنف، و ستمائة حربة بأسنة مصقولة تحتها جلبة فضة و ثلاثمئة درقة بكوابح فضة، يحمل ذلك في الموكب ثلاثمئة عبد أسود كل عبد حربتان و درقة واحدة[1].

وستون رمحا طول كل واحد منها سبع أذرع يحملها ستون رجلا يقال لهم " السبربرية" يسيرون على جانبي المواكب، طرفها الأعلى مصقول، و الأسفل من حديد مدور، فيحمل كل واحد منهم رمحا بيده اليمنى ليفتلها فتلا متدارك الدوران و يحمل في اليد اليسرى سهما كبيرا من الخشب نشابة[2].

و مائة درقة ؛ و ثمان عشرة سيف بيد مائة رجل كل رجل درقة و سيف يسيرون رجالة في الموكب،وعشرة سيوف في خرائط ديباج أحمر و أصفر بشراريب يقال لها سيوف الدم، تكون في أعقاب الموكب برسم ضرب الأعناق حيث إذا أراد الخليفة قتل أحد[3]، و ذلك كله خارج عما يخرج من خزائنه من لتحميل برسم الوزير و أكابر الأمراء، و أرباب الرتب و أزمة العساكر لتحملهم في الموكب و هي نحو أربعمئة راية مرقومة الأطراف بالفضة و الذهب و عدة من العماريات و هي شبه الكنجاوات ملبسة بالحديد الأصفر القرمزي، و كانت تخرج من خزائن السروج المركبات الضخمة و كان كل مركب يحمل رقمه[4]، فمن الواضح أن الجيش كان يشترك بالنصيب الوافر من هذه الاحتفالات إذ تخرج له الأسلحة على اختلافها و المراكب بأنواعها مجملة مزينة.

---

(1) - ابن الطوير، المصدر السابق، ص، 124.

(2) – عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص، 77.

(3) – ابن الطوير، المصدر السابق، ص: 165.

(4) – عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص: 79.

## المبحث الثالث: مرتبات الجند الفاطمي و إقطاعاته.

لقد أولت الدولة الفاطمية عناية خاصة بجيشها لكي يتفرغ لخدمتها و الدفاع عن أراضيها ضف إلى ذلك أنها وفرت كافة سبل الراحة لجندها[1]، إذ خصصت للجنود و الأزمة و أمراء الجيوش مرتبات كما أقطعتهم أراضي في بعض الأحيان[2].

يراعي في تقدير المرتبات لمن يثبت في الجيش أن يكون بحيث تكفيه و يستغن بها و تمنعه من التماس مورد للرزق فيما عداها لكي يتفرغ لما أعد له من الدفاع عن البلاد[3].

كما وضع الفاطميون ديوان سمي ديوان الرواتب و ألحق بديوان الجيش الذي سبق ذكره، إذ تدون فيه مرتبات العاملين في الدولة و اسم كل موظف و مقدار ما يجري عليه، ومن مازال في الخدمة و من مات من الجنود ليرتب لكل فرد استحقاقاته[4].

لقد كانت الأبدال التي تجهز كل ستة أشهر للمحافظة على منطقة ما من الدولة، يكون على رأسها أمير يعرف بـ" أمير المقدمين" كانت تسلم إليه خريطة و هي تشتمل على أوراق العرض الخاصة بالجنود ليتفق مع والي تلك المنطقة على عرض العسكر بمقتضاها، و يسلم إليه من المال لنفقته معونة لمن فاتته النفقة من العسكر، لأن نقباء الطوائف كانوا يجردون من كان حاضرا من الطوائف و من كان مسافرا في إقطاعه ليأخذ صاحب الخريطة أوراقا فمن سافر و هو في إقطاعه ليوصل إليه نفقته، و كانت الخريطة أوراقا فمن سافر و هو في إقطاعه ليوصل إليه نفقته[5].

و تتمثل عروض ديوان الرواتب فيما يلي:

---

(1) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 241.

(2) – عطية مصطفى مشرفة، المرجع السابق، ص، 89.

(3) – عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص، 29

(4) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 287.

(5) – أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص، 715.

فالأول يشمل مرتب الوزير و الوزير أحيانا يكون أمير الجيش نفسه، و العرض الثاني يشمل مرتبات حرس الخليفة و في مقدمتهم الأساتذة المحنكون و العرض الثالث من بحضرة الخليفة من أرباب الرتب مثل صاحب الباب، ثم حامل السيف و حامل الرمح[1]، و لكل منهما سبعون دينارا، ثم الأزمة على العساكر و تتراوح مرتباتهم بين خمسين و ثلاثين دينارا، و العرض الرابع يتضمن مرتبات داعي الدعاة و قاضي القضاة و العرض الخامس فيه مرتبات أرباب الديوان و منهم متولي ديوان الجيش[2] و مرتبه أربعون دينارا شهريا[3]، و العرض السادس و يشمل مرتبات المستخدمين بمصر و القاهرة و السابع يحتوي على مرتبات الفراشين في القصر و منظفيه[4].

و يتناول العرض الثامن مرتبات صبيان الركاب الذين تزيد عدتهم على ألفي رجل، عليهم اثنا عشر مقدما، فيهم مقدم المقدمين و هو صاحب الركاب الأيمن و لكل مقدم منهم خمسون دينارا شهريا و هؤلاء الركاب ينقسمون إلى فرق كل عليها نقيبا، و كل فرد من الركابية يتقاضى خمسة دنانير قد ترفع إلى عشرة أو خمسة عشر دينارا في كل شهر[5].

بالإضافة إلى هذه المرتبات كانت المنح توزع على الجنود المستخدمين في الأعياد و المناسبات ففي عيد الفطر توزع الحلوى، كما كان مخصصا جزء من الضرائب على الأراضي المصرية للإنفاق على الجيش و منه تمنح العطايا و الهبات للعاملين بذلك الجيش [6].

---

(1) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 244.

(2) – عطية مصطفى مشرفة، المرجع السابق، ص، 89.

(3) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 244.

(4) – المرجع نفسه، ص، 241.

(5) – عطية مصطفى مشرفة، المرجع السابق،ص، 89.

(6) – القلقشندي، صبح الأعشى. ج3، المصدر السابق، ص، 525.

ولا يستبعد أن يكون مرتب الجنود يزيد على خمس دنانير شهريا لأن هذا المبلغ كان يدفع للفراشين في القصور و الغريب أن راتب الجنود يفوق خمسة دنانير شهريا(1)، نظرا لما يبذله الجنود في سبيل حماية الوطن. ومن أهم ما عني به الخلفاء الفاطميين هو الحرص على إيصال مرتبات الجنود في ميعادها(2)، ومن خلال قول الخليفة المنصور تستخلص حرص الفاطميين على دفع رواتب الجند إذ يقول:" و أما طوائف الجند فتخذهم على مرتباتهم في ديوان الجيش و تخصهم من عنايتك بالنصيب الموفر و تستخدمهم في سد الثغور و شديد الأمور، و تراعي وصول أتعابهم إليهم أوقات الاستحقاق"(3).

إن اهتمام الفاطميين بدفع رواتب جندهم ليس حديثا، فالمهدي أول من حرص عليه لما تسلم العرش هو إنشاء ديوان العطاء أو الرواتب و أمر بإثبات الموالي و أبناء العبيد و من سارع إلى الرزق و اكتسب فيه(4)، و ولى عليه عبدون بن حباسة الكتامي.

وقد خصصت ميزانية الدولة أموالا طائلة للجرايات و الرواتب و يبدو أنها كانت تدفع بانتظام في مستهل كل شهر و يمكن تقديرها بمبلغ يتراوح بين خمسمائة درهم للشخص الواحد مع العلم أن نصيب الفارس كان أعلى من نصيب الراجل(5).

و النص المذكور في المجالس و المسايرات يدل على حسن تنظيم الرواتب و "العطاء" و مولانا يصب على أوليائه و عبيده الصلات و الأرزاق، و الكسى و الحملان و العلوفة و الجراية على نسائهم و أبنائهم، يقبضون

(1) - سيدة اسماعيل كاشف وآخرون، المرجع السابق، ص، 317.

(2) - القلقشندي، صبح الأعشى. ج3، المصدر السابق، ص، 393.

(3) - عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 244.

(4) - القاضي النعمان: افتتاح الدعوة. المصدر السابق، ص، 275.

(5) - فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 529.

ذلك بأيديهم و إن خرجوا في بعث حمهم و وصلهم و أدار أرزاقهم و أبقى على مخلفيهم ما كان يجري عليهم و من استشهد منهم أو مات أبقى ما كان يجري عليه مخلفيه"[1].

و يبدو أن الفاطميين اهتموا بتنظيم جيشهم منذ إعلان دولتهم في المغرب و منه كان النصيب الأوفر من الرواتب و الجرايات للكتاميين.

إذ أن قبل قيام الدولة الفاطمية لم يكن الكتاميين يتقاضون راتبا بصورة منتظمة فقد كانوا من المتطوعين الذين يظلون مجندين أثناء سير العمليات الحربية ثم يرجعون في زمن السلم إلى ديارهم محملين بنصيبهم من الغنائم، إلى أن أصبحوا جنودا بأتم معنى الكلمة في الجيش[2].

و الجيش الفاطمي كان يتقاضى رواتبه نقدا و بطريقة منتظمة[3]، كما أنه كلما جرى تنصيب خليفة جديد تمنح منح للجيش، فعند تنصيب الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 386هـ، اتفق الحسن بن عمار مع الكتاميين على أن يطلق لهم ثماني إطلاقات كل سنة ثمانية دنانير لكل رجل منهم و ذلك بالإضافة إلى الفصل و هو عشرون دينارا لكل واحد، دفعت بحضرة الخليفة بواسطة عرفائهم[4].

و أصبح تقيدا بعد ذلك منح مال الفضل للجند كافة، و تكرر أثناء تنصيب الخليفة الظاهر و الخليفة المستنصر[5].

و يذكر ناصر خسروا عند وصفه للجيش الفاطمي أثناء خروجه للاحتفال بفتح الخليج أن نفقة هذا الجيش كله من مال السلطان و لكل جندي منه مرتب شهري على قدر درجته و لا يجبر على دفع دينار منها أحد

(1) - القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، المصدر السابق، ص، 531.

(2) - فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 535.

(3) - أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص، 706.

(4) - المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، المصدر السابق، ص، 125.

(5) - أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص، 707.

الرعايا أو العمال[1]، و لكن هؤلاء يسلمون للخزانة أموال ولايتهم سنة فسنة و تصرف أرزاق الجند من الخزانة في وقت معين بحيث لا يرهق والٍ أو واحد من الرعية بمطالبة الجند[2].

و إذا امتنعت طائفة من الجيش عن مقابلة العدو فإن مرتباتهم و استحقاقاتهم تسقط إن كانوا أكفاء لذلك العدو، و إن كانوا أضعف منه عددا فليس للأمير إسقاط مرتباتهم[3].

كما اهتم الفاطميون بدفع مرتبات جندهم في ميعادها ، اهتموا كذلك بإقطاع جندهم إذ يقال اقتطع من الشيء أخذها و القطيعة ما اقتطعه منه و اقتطعن إياها إذن في إقطاعها و استقطعه إياها سأله أن يقطعه إياها و أقطعه [4].

قال الماوردي و الإقطاع ضربان إقطاع استغلال و إقطاع تمليك فإن كانت في دار الإسلام فهي حق لبيت المال و إذا كانت و لم يثبت للمسلمين عليها يد فأراد الإمام أن يقطعها ليملكها المقطع عند الظفر بها فيجوز[5].

وضع الفاطميون له ديوانا و سمي ديوان الإقطاع و اختص بإقطاعات الأجناد و النظر فيما هو مقطع لهم، يتولى هذا الديوان رئيس يتقاضى أربعين دينارا في كل شهر[6].

و السبب في إنشاء هذا الديوان هو أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله لما استولى على مصر ضم إلى أراضي الدولة العامة أملاك الأسرة الإخشيدية، و أُقطع بعض الأراضي لأصحاب السيوف، و في بعض الأحيان كان هذا

---

(1) – ناصر خسرو، المصدر السابق، ص، 112.

(2) – المصدر نفسه، ص، 112.

(3) – عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص، 29.

(4) – المقريزي، المواعظ و الاعتبار، ج1، المصدر السابق، ص، 66.

(5) – الماوردي، المصدر السابق، ص، 248.

(6) – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، المصدر السابق، ص، 482.

الإقطاع تمليك، تصدر به وثيقة من ديوان الإنشاء و تسمى المحمل بمقتضاها يصبح حاملها مالكا للأرض بصورة مؤبدة[1].

و في أحيان أخرى كان الخليفة يقطع إقطاع استغلال أي الانتفاع بإيراد المساحة المقطعة في حياة المقطع له[2]، و بوفاته ترد، و تنتهي المدة المحددة للإقطاع إذا أخل المقطع له بشروط الخليفة، لقد كانت هذه الإقطاعات مجرد هبات و مكافآت مقدمة من طرف الخليفة لرجال الجيش عما يقدمونه، و ذلك أن الخلفاء الفاطميين لم يسيروا على مبدأ إعطاء الأرض إقطاعا في مقابل الرواتب[3].

ويبدو أن هذا النوع من الإقطاع في مصر الفاطمية، كان يمنح في البداية إلى الموظفين المدنيين من وزراء و قضاة و كبار الأمراء[4]، إذ يذكر القلقشندي أن مرتب الوزير بلغ في بعض السنين ما يزيد عن مائة ألف دينار بالإضافة إلى ما يقطع له من أراضي و قمح...إلخ[5]، كما أنه كان يمنح لهم إقطاعات في بعض الأحيان عوض عن رواتبهم ليشمل الإقطاع بعدها الجنود و عبيد الشراء أثناء خلافة الحاكم بأمر الله[6]، حيث أقطع الحاكم الركابية و هم الذين يجدفون به في العشاري الذي كان يركب فيه عند خروجه، و أقطع المشاعلية و هم النفاطين الذين كانوا يحملون المشاعل بين يديهم[7].

---

(1) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 245.

(2) – عطية مصطفى مشرفة، المرجع لسابق، ص، 186.

(3) – عبد الله محمد جمال الدين، المرجع لسابق، ص، 245.

(4) – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص، 229.

(5) – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، المصدر السابق، ص، 490.

(6) – أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص، 708.

(7) – المرجع نفسه، ص، 708.

و أقطع كذلك من الوجوه و الأقارب فكان مما أقطع الإسكندرية و البحيرة و نواحيها، و أقطع كذلك الفضل بن عبد الله، إقطاعات كثيرة بعد انتصاره على ثورة أبي ركوة*، الذي كاد أن يزعزع أسس الدولة الفاطمية[1].

كذلك فعل الخليفة العزيز بالله لوزيره يعقوب بن كلس إذ كان يمنحه إقطاعا كل سنة بمصر و الشام مبلغه مائة ألف دينار[2].

و هذا ما زاد من أطماع قادة الجيش الفاطمي و أصبحوا يطالبون بمنحهم إقطاعات مقابل الحفاظ على الأمن في الدولة كما فعل حسان بن جراح الطائي الذي أرسل إلى الخليفة الظاهر يطلب إضافة بيت المقدس و نابلس إلى إقطاعه غير أن الخليفة أجابه بإضافة إقطاع نابلس فقط[3].

و فور وصول بدر الجمالي إلى مصر – أثناء الفتنة في مصر– و عمله على التخلص من الأمراء المصريين جعل لكل واحد من أصحابه قتل أحد الأمراء المصريين سائر ما بيد أو ما يملك، ذلك الأمير من إقطاع و مال و غير ذلك[4].

يبدو أن الدولة الفاطمية بدأت منذ هذه الفترة تستخدم نوعا من الإقطاع في تدبير شؤون جزء من جيشها الكبير، و هكذا أخذ العسكريون يعملون تدريجيا محل أرباب القلم في جباية الخراج[5].

---

* أبو ركوة: اسمه الوليد و هو من ولد هشام بن المغيرة بن عبد الرحمن الناصر لقب بأبي ركوة ، حيث أنه كان يحمل معه دائما ركوة ماء لوضوئه على الطريقة الصوفية، أقام بالقيروان يعلم الأطفال، ثم ذهب إلى مصر فدرس بها الحديث، و نزح إلى برقة و استقر بها أين كشف عن حقيقة أنه من نسل بني أمية بالأندلس و أن مصر من حقه، أنظر ، محمد عبد الله عنان، الحاكم بأمر الله و أسرار الدعوة الفاطمية، مطبعة المدني، القاهرة، 1983م، ص، 187.

(1) – أبو المحاسن، المصدر السابق، ص، 218.

(2) – أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص، 708.

(3) – المقريزي، اتعاظ الحنفاء ج2، المصدر السابق، ص، 125.

(4) – أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص، 711.

(5) – المرجع نفسه، ص، 712.

و أطلق على القيمة الضرائبية عبرة بمعنى أن يتعهد كل مقطع من أولائك المقطعين بدفع مقادير معينة من المتحصلات الضرائبية السنوية للإنفاق منها في أوجه نفقات الدولة و مصالحها، و يحتفظ لنفسه ببقية عائد الإقطاع، و استمر هذا في عصر الآمر و الحافظ و ربما هذا الإقطاع أدخل بدر الجمالي كوسيلة لزيادة إنتاجية الأرض بعد سنوات الجفاف التي صاحبت الحرب الأهلية في مصر[1].

إلا أن الوزير الأفضل قام بحل جميع الإقطاعات سنة 501هـ، بغرض المحافظة على قيمة العائد و الخدمات بعد أن تضرر كثير من العسكريين كون إقطاعياتهم قد قل ارتفاعها و ساءت أحوالها لقلة المتحصل منها، فحملت إقطاعيات الأجناد و الطوائف كلها على أملاك البلاد[2].

(1) – المقريزي، المواعظ و الاعتبار، ج1، المصدر السابق، ص: 58.

(2) – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، المصدر السابق، ص، 80.

# الفصل الثاني

## الجيش الفاطمي في المغرب و صقلية

## ( 297-362ه ؛ 910-972م)

المبحث الأول: دور الجيش الفاطمي في إخماد ثورات المغرب الأدنى

المبحث الثاني: دور الجيش الفاطمي في إخماد ثورات المغرب الأوسط

المبحث الثالث: دور الجيش الفاطمي في التوسع إلى المغرب الأقصى

المبحث الرابع: نشاط الجيش الفاطمي في صقلية

## المبحث الأول: دور الجيش في إخماد ثورات المغرب الأدنى.

واجه عبيد الله المهدي صعوبات كبيرة في بسط نفوذه المذهبي على المجتمع المغربي السني، حيث جابهه أهل المغرب و علماؤه المالكية بالمقاطعة السلبية و الإنكار أولا ثم بالقوة[1]، إذ أن المذهب المالكي استقر في القيروان و غيرها من المدن المغربية، فأنكر أتباعه المذهب الاسماعيلي و أنكروا مظهر القداسة الذي أراد عبيد الله أن يحيط نفسه به، كما ضايقهم عدة أمور قام بها المهدي كمنعه لصلاة التراويح[2].

و من جهة أخرى كان لمقتل عبد الله الداعي و أخوه أبا العباس من قبل عبيد الله المهدي أثره السيء في نفوس المغاربة[3].

فكان رد فعل المغاربة على هذه الأمور متمثلا في ثورات اجتاحت المدن المغربية.

### المطلب الأول: ثورة القصر القديم(299هـ-912م):

لم تعد العناصر الأغلبية تشعر بالأمن بعد قتل الرجل الذي لم يزل اسمه مرتبطا بقيام الدولة و خشي من بقي من بني الأغلب في القصر القديم على أنفسهم، فالتفوا حول زعيم لهم يدعى أبوا الحسن بن أبي الحجر[4]، يذكر القاضي النعمان أنه كان من وجوههم و مقدميهم و أسخيائهم، و قد حضر طعامه و هم يأكلون معه-ابن أبي الحجر- إلا أن دخل عليه بعض خاصته و أخبروه بمقتل الداعي فغضب و ضرب المائدة برجله و قال: "ومن كان معه من أهل بيته، فقتلتم و الله كلكم"، قالوا:" و ما ذنبنا نحن"، قال: "هذا الذي أمنكم حتى قتل و هو صاحب هذا الأمر و سبب هذا الملك...و من قتل وليه كان إلى قتل عدوه أسرع"[5].

---

(1)- ابن حماد، المصدر السابق، ص، 21.

(2)- محمد محمد زيتون، القيروان و دورها في الحضارة الاسلامية، دار المنار، القاهرة، 1408هـ- 1988م، ص، 360.

(3)- حسن ابراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص، 263.

(4)- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 85.

(5)- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 321.

فخاف بنو الأغلب أن يغدر بهم المهدي، كما غدر بالداعي فحذروا على أنفسهم منه، و كان سائرهم في القصر القديم فوقع يوما بين بعض السوقة و بعض الكتاميين خلاف، فقاموا على الكتاميين و أخرجوهم من القصر و أغلقوا أبوابه و أعلنوا العصيان، فقام الكتاميون- من كان حول القصر القديم منهم- و زحفوا إليهم و أحاطوا به و أوقدوا النار على الصومعة ليمدهم أهل القيروان و قبل أن يصلوا إليهم[1]، أخرج من كان داخل القصر من بني الأغلب ما كان عندهم من سلاح و العدة و ركبوا خيلهم و قتلوا من الكتاميين عددا كبيرا[2].

وصلت هذه الأنباء إلى عبيد الله المهدي ففرق كتامة و أظهر الإنكار عليهم، غير أنه لبث مدة من الزمن ليقوم بعدها بالقبض على جماعة من بني الأغلب و قتلهم، و قبض بعد مدة على مجموعة أخرى و قتلهم أيضا ثم طارد بقاياهم في كل مكان من البلاد و قتلهم، و حبس بعضهم إلى أن أطلق سراحهم المنصور[3].

**المطلب الثاني: ثورة القيروان(299هـ-912م):**

أعقبت ثورة القصر القديم ثورة أخرى اندلعت في القيروان*، و هي تعبر عن هشاشة العلاقات بين العناصر الأغلبية و النظام الاسماعيلي، و حسن الجوار بين النظام الاسماعيلي و بين الكتاميين[4].

---

(1)- يحي بن سعيد بن يحي الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي،(صلة تاريخ أوتيخا)، تح، عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، 1990، ص، 67.

(2)- الداعي إدريس، المصدر السابق، ص، 188.

(3)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، المصدر السابق، ص، 125.

* القيروان: عندما تولى عقبة بن نافع فتح إفريقية قال إلى أرى إفريقية إذا دخلها إمام تحرموا الاسلام فإذا خرج عنها رجع كل من أجاب منهم عن دين الله فهل لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا مدينة تكون لكم عز الأبد فأجابه الناس و اتفقوا على أن يكون أهلها مرابطين، و قالوا نقرب بها من البحر ليتم الجهاد و الرباط فقال لهم عقبة تخاف من ملك القسطنطينية فاتفق رأيهم على موضعها. أنظر، مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ( د، ت)، ص، 113.

(4)- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، 85.

و كان أن حدث انفجار شعبي رهيب في أسواق القيروان ضد الكتاميين[1]، و السبب في ذلك أن الجنود الكتاميين كانوا يسألون عبيد الله أن يطلق أيديهم على نهب القيروان و كان يسوفهم في ذلك، و يعلق أطماعهم و هم يتحاملون علة على أهل القيروان فسئم الناس شرهم و فسادهم[2].

و يذكر ابن عذارى أنهم قاموا عليهم بسبب استطالة رجل من جند كتامة على رجل من تجار أهل القيروان فلما دفعوه عنه شهروا عليهم السلاح و صاح أهل القيروان النفير النفير[3]، فكانت أن قتل من الجنود الكتاميين حوالي سبعمائة جندي[4]، غير أن ابن عذارى يذكر أنه قتل من كتامة أكثر من عشرة ألاف رجل[5].

غير أن سعد زغلول يعتبر أن هذه المذبحة مرتبطة بحركة التطهير التي قام بها المهدي في الجهاز الإداري ضد المتعاطفين مع مقتل الداعي، و دليله على ذلك ما قام به والي القيروان أحمد بن خنزير من تسكيت للناس و الأمر بتغييب الجثث من القتلى الكتاميين في المراحيض[6].

لقد كان من بين من قتل صاحب السوق، محمد بن أبي سعيد الميلي، و المحتسب ابن القلم، و محمد ابن أبي رجا الباغائي، و أبو الوهب بن عمرو بن زرارة العبوري و غيرهم.[7]

لما وصلت هذه الأنباء إلى عبيد الله المهدي، قال:" رئيس يعزون إليه أو أحد في هذا الأمر يجتمعون إليه" فقالوا:" لا يعرف و لا يوجد"[8].

---

(1)_ محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص، 27.
(2)_ سعد زغلول، المرجع السابق، ص، 69.
(3)_ ابن عذارى، المصدر السابق، ص، 102.
(4)_ الأنطاكي، المصدر السابق، ص، 67.
(5)_ ابن عذارى، المصدر السابق: ص، 102.
(6)_ سعد زغلول، المرجع السابق: ص، 69.
(7)_ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص، 189.
(8)_ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة. المصدر السابق، ص: 322.

ذهب شيوخ القيروان إلى المهدي و قدموا اعتذارهم، فأعرض عنهم و لم يعجل عقوبتهم ثم عاقبهم بعد ذلك في أموالهم[1]،و عذب فقط المالكية بسبب مناهضتهم للمذهب الإسماعيلي و كف الدعاة عن طلب التشيع[2].

**المطلب الثالث: ثورة طرابلس(* 300هـ-913م):**

بعد أن سيطر عبيد الله المهدي على طرابلس عين ماكنون بن ضبارة اللحياني الكتامي و اليا عليها، فثارت عليه قبيلة هوارة و انضمت إليها قبائل من زناته و لماية و غيرها من القبائل البربرية و تزعم هذه الثورة أبو هارون الهواري[3]، فحاصر طرابلس و احتمى ماكنون بسور المدينة إلا أن أرسل عليه عبيد الله جيشا بقيادة بن معارك ابازاكي، و هو ابن أخي ماكنون و استطاع جيش عبيد الله أن يقضي على هذه الثورة، و فيها قتل ماكنون ابن اخيه أبا زكي بأمر من المهدي[4].

لقد كان ماكنون والي طرابلس يسمح لجنده من كتامة بالتطاول على الناس ، إذ بلغ الأمر إلى حد تطاولهم على الحريم، فكان سببا في قيام ثورة أخرى في طرابلس[5]: فتحرك أهلها و مدوا أيديهم إلى من لقوا من كتامة فقتلوهم، و هرب ماكنون و أغلقوا أسوار المدينة، غير أنهم رأوا أنه من الضروري أن ينظموا أنفسهم تحت قيادة بعض الزعماء و منهم محمد ابن اسحاق القرشي المعروف بابن القولين، و أحمد بن نصر الباغالي[6].

(1)- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، 85.

(2)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، المصدر السابق، ص، 35.

* طرابلس: كريمة البقعة طيبة التربة مخصبة القاعة بسواحل إفريقية الشمالية، يحدها من الجنوب الصحراء الكبرى شرقا الحدود المصرية و شمالا البحر الرومي و غربا افريقية –تونس– معتدلة الهواء و الجو النسيم: ربيعها و خريفها و مشتاها و مصيفها على قدم من الاعتدال. أنظر، أحمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، ص، 3.

(3)- علي الصلابي، المرجع السابق، ص، 66

(4)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، المصدر السابق، ص، 35.

(5)- ابن خلدون، المصدر السابق، ص، ص49.

(6)- ابن عذارى، المصدر السابق، ص، 103.

لم يكن أمام ماكنون سوى النجوء إلى عبيد الله برقادة حيث زوده هذا الأخير بجيش جديد و سيره لحرب الثوار، و لكن هذا كان دون جدوى و فشل ماكنون في القضاء على ثورة طرابلس[1].

كلف عبيد الله ابنه القائم بمواجهة ثورة طرابلس فكان مسيره إلى هناك، و كان مجهزا بجيش كبير فكان لابد له من فتحها لأنها مدينة قريبة من مصر و من السهل الاستيلاء عليها[2].

وجد المهدي أنه من الضروري بحكم موقع المدينة البحري إرسال أسطول بحري يرافق الحملة البرية، يذكر ابن عذاري أن هذا الأسطول يحتوي على خمسة عشرة مركبا حربية، فوصلت قطع الأسطول قبل الحملة البرية أين وجدت أسطول طرابلس في انتظارها، فتصدوا لأسطول الفاطميين و أحرقوا و قتلوا من فيه[3].

لما وصلت حملة القائم البرية عملت على التخلص أولا من قبيلة هوارة لأنهم كانوا يمدون أهل طرابلس بما يلزمها عن طريق البحر، و بعد أن أحكم قبضته على الهواريين توجه إلى طرابلس نفسها و شن عليها حصارا طويلا استمر ستة أشهر، لم يجد أهلها ما يأكلون خلال هذا الحصار حتى أكلوا الميتة[4]، مما اضطرهم إلى طلب الأمان و قبول شروط القائم التي تقضي بتسليم زعماء الثورة و هم محمد ابن اسحاق، محمد بن نصر، و رجل يعرف بالحوحة، و أغرمهم مبلغا ماليا يقدر بثلاثمئة ألف دينار[5]، لكن القائم أمر جنده بالتخلص من الأغالبة الموجودون في المدينة مدعيا أنهم سبب هذه الفتنة، ثم قفل بالعسكر إلى رقادة و بين يديه الثلاثة الذين تقدم ذكرهم فطيف بهم بالقيروان على الجمال ثم قتلوا[6].

---

(1)– سعد زغلول، المرجع السابق، ص، 73.

(2)– أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون، التذكار( تاريخ طرابلس الغرب في من ملك طرابلس و ما كان بها من الأخبار). تح، الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المطبعة السلفية ، القاهرة، 1349هـ، ص، 17.

(3)– سعد زغلول، المرجع السابق، ص، 72.

(4)– ابن عذارى، المصدر السابق، ص، 103.

(5)– علي الصلابي، المرجع السابق، ص، 67.

(6)– عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 64.

فبقت طرابلس بعدها خاضعة للفاطميين إلا أن قام رجل و هو ابن طالوت القرشي، و كان من بعض كتاب العراق فصار إلى ناحية طرابلس فزعم للبربر أنه المهدي حقيقة[1]، و نجح في اقناع أهل الناحية من البربر فساروا معه نحو مدينة طرابلس، أين اصطدم مع حامية الجيش الفاطمي في طرابلس فهزم و قتل عددا كثيرا من أصحابه فثبت لهم أنه ليس المهدي فقتلوه و أتوا برأسه للقائم[2].

**المطلب الرابع: ثورة برقة(* 304هـ-918م):**

كان على المهدي أن يواجه عصيان برقة بعد فترة وجيزة من دخولها تحت حكمه، ثم استغل عبيد الله ثورة أهل برقة على العباسيين[3]، و أرسل حملة يقودها حباسة بن يوسف الملوسي، و موسى بن عبد الرحمن الوداني فهربت حامية العباسيين إلى مصر بمجرد اقتراب عسكر الفاطميين فأعلن الأمان لأهلها و دخلها حباسة دون قتال و كان ذلك سنة 914م[4].

لقي أهل برقة معاملة سيئة من قبل حباسة، يذكر ابن عذارى أنه أخذ جماعة كانوا يلعبون بالحمام، فأضرم لهم النار و أجلسهم حواليها و أمرهم أن تقطع لحومهم و تشوى، و قذفهم بعد ذلك في النار و قال ان هذه الحمام تأتيهم بالأخبار من قبل بني عباس[5]، فقام و أعلن في الناس أنه" من يريد العطاء فليأت إلينا "فحضر إليه

---

(1)- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة. المصدر السابق، ص، 325.

(2)- سعد زغلول: المرجع السابق، ص، 165.

* برقة: هي مدينة أزلية قديمة و هي في صحراء حمراء التربة و المباني فتحمر لذلك ثياب سكانها و المتصرفين فيها، و على ستة أميال منها جبل كثير الخصب و الفواكه و المياه السائحة و أرض برقة كثيرة الخصب و أكثر ذبائح أهلها مصر و الاسكندرية من غنم برقة لعظم خلقها و كثرة شحمها و لذة لحمها: اسمها باللغة الإغريقية بنطابلس و معناها خمس مدن. أنظر، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص، 143.

(3)- الأنطاكي، المصدرالسابق، ص: 68.

(4)- سعد زغلول: المرجع السابق، ص، 88.

(5)- ابن عذارى، المصدر السابق، ص، 103.

ألف رجل فأمر بهم فقتلوا جميعا ثم وضع جثثهم بعضها على بعض و جيء له بكرسي فوضع على الجثث و جلس عليه[1].

و سبب هذه المعاملة القاسية لأهل برقة من قبل حباسة ربما لأنه كان قد شك في ولائهم للعباسيين و أنهم يطلعونهم على كل ما يحدث في برقة، خاصة و أن أهل برقة يدينون بالمذهب السني، مما استعصى عليهم تقبل هذا المذهب الجديد.

غير أن ابن عذارى يعتبر سبب هذه المعاملة القاسية لأهل برقة أنه لما دخلها عبيد الله هربا من مصر سرقوا متاعه و ماله فلما طلب ذلك قام له رجل لطمه و شتمه، لكن لما اشتكى أهل برقة ذلك لعبيد الله حلف أنه لم يأمره بذلك[2].

بعد أن استتب الأمر لعبيد الله و أصبح قريبا من مصر أرسل حملته الأولى عليها، لكنه فشل في ذلك[3] فبمجرد أن علم أهل برقة أن حملة عبيد الله المهدي على مصر قد فشلت ثاروا على الكتاميين الموجودين في برقة و قتلوهم، فكان على المهدي أن يواجه عصيان برقة بعد دخولها ضمن حدود دولته فسير جيشا على رأسه أبو مدين بن فروخ اللهيصي سنة 303هـ/916م[4].

لم تكن هذه المهمة سهلة إذ استمر حصارها ثمانية عشر شهرا عانت فيها من شدة الحصار و الحريق بالنار حتى فني أكثر أهلها فسقطت سنة 304هـ[5]، و استطاع عبيد الله من القضاء نهائيا على هذه الثورة.[6]

---

(1)- علي الصلابي، المرجع السابق: ص، 69.

(2)- ابن عذارى، المصدر السابق: ص، 104.

(3)- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 214.

(4)- سعد زغلول، المرجع السابق، ص، 82.

(5)- ابن عذارى، المصدر السابق: ص، 106.

(6)- القاضي النعمان: افتتاح الدعوة. المصدر السابق، ص، 326.

فسير زعماء هذه الثورة إلى رقادة أين أمر المهدي بقتلهم و بقي أبو مدين اللهيصي في ولاية برقة ثلاثة سنوات[1].

[1]- سعد زغلول، المرجع السابق، ص: 82.

## المبحث الثاني: دور الجيش الفاطمي في إخماد ثورات المغرب الأوسط:

لقد كان لعبيد الله الداعي مكانة جليلة وسط قبائل البربر و بخاصة قبيلة كتامة التي احتضنته و احتضنت دعوته وقدمت له يد العون و المساعدة و بعد مقتله –الداعي– وجد عبيد الله صعوبة في ضبط الكتاميين الذين ما فتأوا ثارة المشاكل في كل ولاية ينزلون فيها[1].

### المطلب الأول: ثورة كتامة(299هـ–912م):

برزت مظاهر الطبيعة القبلية المتقلبة بين أبناء قبيلة كتامة الذين بحرتهم انتصارات أبي عبد الله الداعي السريعة و أسهموا بشكل بارز في قيام الدولة الفاطمية، اعترف المهدي بفضل كتامة فعين من أفرادها ولاة و حكام المدن و قادة الجند[2]، و لما أفضى عبد الله الداعي مخاوفه من سياسة المهدي اتجاه الكتاميين استاء المهدي من مخاطبة الداعي له بهذه الجرأة و أمر بقتله[3].

من الطبيعي أن يكون لمقتل الداعي أثر في قلوب الكتاميين، فاختفاء الداعي على ساحة الأحداث كانت له نتائج سلبية على كتامة، فثارت موجة من الاستياء و الاضطرابات[4]، فالمهدي منح الأمان للكتاميين غير أن شكوكه فيهم استمرت على حالها، و لما استقبل المهدي وفدا من زعمائهم ألقى القبض عليهم و قتلهم فشعر الكتاميون بالإذلال و الألم[5].

فساءت سمعة الكتاميين في القيروان و إفريقية و خاصة في الأسواق، ومن جهة أخرى ساءت سمعة الدولة في قبائل كتامة، جعلت كل طرف يبحث عن البديل فالمهدي بدأ في إنشاء جيش تتكون عناصره من العبيد

---

(1)– حسن علي الحربطولي، المرجع السابق، ص، 58.

(2)– سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، 89.

(3)– سعد زغلول، المرجع السابق، ص، 68.

(4)– ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص، 48.

(5)– سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، 90.

و المماليك يدينون له بالطاعة و الولاء، في حين أخذ الكتاميون في البحث عن إمام يكون من جنسهم و قبيلتهم.[1]

اعتقد الكتاميون أن المذبحة التي جرت في حقهم في القيروان مدبرة من جهات رسمية، فأعلنوا الثورة على عبيد الله المهدي[2]، و أقاموا عليهم غلاما من بينهم يقال له عبد الله بنو ماوطي، من أورسة فزعموا أنه المهدي و نحلوه النبوة، و زعموا أن الوحي يأتيه، و أن الكتب من الله تنزل عليه[3]، و نصبوا له الدعاة كدعاة أبي عبد الله الداعي، و ادعوا أن الداعي حي لم يمت[4].

نجح الماوطي في أن يجمع حوله كثيرا من الناس، و زحفوا إلى ميلة فأخذوها، فأخرج لهم المهدي جيشا بقيادة حسن الملوسي و معه وجوه من كتامة- من قربهم إليه المهدي- أين ألحق الماوطي بالجيش الفاطمي هزيمة نكراء فقتل منهم قتلا عظيما.[5]

أرسل المهدي بعد هزيمة جيشه الأول جيشا آخر أسنده إلى ابنه القائم؛ أين قسم جيشه إلى قسمين جعل على رأسه أبو فخار الملوسي و القسم الآخر على رأسه محمد بن يعلي؛ تمكن القائم من فتح قسنطينة و ألقى بالماوطي في واد الزيت في ميلة[6]، فهزم هذا الأخير على يد القائم، و فر الماوطي لكن غزوية بن يوسف الملوسي سار خلفه و قبض عليه في واد سهر و معه أهل بيته فوصل بهم إلى القائم في إيكجان فتم قتل الماوطي و من معه.[7]

---

(1)- سعد زغلول، المرجع السابق، ص: 68.

(2)- المرجع نفسه، ص: 80.

(3)- الأنطاكي: المصدر السابق: ص: 68.

(4)- المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص: 35.

(5)- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص: 90.

(6)- الداعي إدريس، المصدر السابق، ص: 190.

(7)- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص: 90.

كتب القائم بأمر الله إلى المهدي يخبره بالنصر، و هكذا استطاع القائم و جيشه من القضاء على هذه الثورة بقتله للكثير منهم[1].

المطلب الثاني: ثورة زناتة(312هـ-920م):

في الوقت الذي اعتلى فيه عبيد الله المهدي الحكم رأى نفسه مضطرا للتصدي للثورات التي أثارتها القبائل البربرية، و الدافع لهذه الثورات هو العصبية القبلية، و الروح الاقليمية و التنافس بين زناتة و كتامة، بعد انحياز أبي عبد الله الداعي إلى القبيلة الأخيرة[2].

اشتدت حركة الزناتيين على الوجود الفاطمي بعد دخوله تهرت عاصمة الرستميين، و نظرا لوقوع تلك المدينة في قلب مضاربهم كما أنها تعد مركزا هاما على طريق تداخلهم و تجارتهم[3].

أدرك عبيد الله ذلك و عين مصالة بن حابوس و أبو حمد داوس اللهيصي لقيادة الجيش الفاطمي من أجل القضاء على ثورة زناتة، فأصبحت تيهرت نتيجة هذا مركزا للثورة الزناتية[4].

خرج مصالة من تيهرت سنة 312هـ لحرب زناتة و تأديب زعيمهم محمد بن خزر إلا أنه لقي مصرعه في ميدان القتال، عندما أخذه ابن خزر على غرة و هو في قلة من أصحابه و ذلك في عشرين شعبان من نفس السنة[5].

زحف ابن خزر إلى تيهرت سنة 313هـ و هدد حاميتها الصغيرة المتكونة من ثلاثمئة رجل بقيادة والي تيهرت نصل بن حبوس الذي هزم ابن خزر[6]

(1)– ابن كثير، المصدر السابق، ج8، ص، 21.
(2)– سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، 87.
(3)– المرجع نفسه، ص، 88.
(4)– سعد زغلول، المرجع السابق، ص، 103.
(5)– ابن عذارى، المصدر السابق، ص، 116.
(6)– الداعي إدريس، المصدر السابق، ص، 214.

و في السنة الموالية 314هـ، خرج ابن خزر في حرب ضد الجند الفاطمي و كان يستخدم أسلوب الكر و الفر، أي حرب الجماعات الصغيرة ذات الامكانات الخفيفة، ضد الجيش النظامي الفاطمي المجهز بعتاد ثقيل و خطط حربية محددة[1].

بعد انهزام ابن خزر في أحواز طبنة عاصمة الزاب، ترك أخاه ليفاجئ قوات الفاطميين و يهزمها في وادي مطماطة*[2].

سير المهدي بعد هزيمة قواته على يد أخ ابن خزر جيشا عظيما بقيادة ابنه القائم سنة 315 هـ إلى الأربس[3]، ووفاه بها خليل بن إسحاق التميمي بعساكر إفريقية و كان قد جمعهم في الأربس فبلغت عدتهم أربعين ألفا إلا أن أتاه كتاب عامل تيهرت يذكر انهزام ابن خزر و فراره.[4]

ثم قدم أهل تيهرت للقائم و ذكروا له ان ابن خزر مقيم بقلعة جمة فتحرك له القائم، و كلما اتجه للغرب كانت طبيعة الأرض تزداد وعورة حتى تطلب الأمر من القائم أن يمشي راجلا لصعوبة المسالك و هو يتابع عبد الله بن خزر بن تابذلت أخ محمد ابن خزر، و لما علم بن تابذلت بقدوم القائم هرب و معه أهل القلعة إذ ترك القلعة و فيها المواشي و المطاعم و الشحن و أمر جنده بنهب ذلك و بعث جزءا من جنوده لملاحقة ابن خزر و من معه.[5]

نظرا لقوة الجيش الفاطمي و عزيمة القائم و تفطنه لمكائد البربر الموالين لابن خزر استطاع أن يحول دون اقتحام محمد بن خزر و أخاه إلى تيهرت، فقوة الجيش الفاطمي نستخلصها من خلال تطبيقه لما وضع له من

---

(1)– سعد زغلول، المرجع السابق، ص: 103.

* مطماطة: وهي مدينة قديمة و سكانها قوم يعرفون بمطماطة وهي كثيرة التمر و الزيتون و الفواكه و في المدينة عين كبيرة شديدة الحرارة فإذا سقى منها الماء برد لحينه و منها يشربون و يسقون غاباتهم و غلاتهم. أنظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص: 150.

(2)– ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 116.

(3)– ابن حماد، المصدر السابق، ص: 214.

(4)– الداعي إدريس، المصدر السابق، ص: 214.

(5)– المصدر نفسه، ص: 215.

... وتهتم بدراسة التضاريس وأشكال الأرض والمناخ والنبات الطبيعي
والحيوان والتربة والمياه.

II/ الجغرافيا البشرية: ومن فروعها:

الجغرافيا السكانية: تهتم بالمجتمع السكاني من حيث عدد الذكور والإناث والشيوخ والأطفال
والجغرافيا الحديثة وهي الجنس البشري

الجغرافيا الاجتماعية: الفئات والتقاليد والعادات

الجغرافيا السياسية: بتجمع حدود الدول وتقسيم الدولة وإدارة الأنشطة السياسية وأثر السياسة في الدولة وملكية وكل ما يتعلق بالسياسة

والجغرافيا التاريخية: من الجغرافية الجيولوجية لما يتعلق بالجانب التاريخي

والاقتصادية

III/ الجغرافيا الاقتصادية:

تهتم الجغرافيا الاقتصادية بدراسة الموارد والمواد لسطح الأرض ومدى درجات استغلال الإنسان لها وتوزيع الثروات
التي تنتجها واستهلاكها محليا أو تصدير الفائض عن طريق التجارة ولكل هذه الموضوعات التي
تتعرض لها الجغرافيا الاقتصادية حينما تطبق في الوقت الحاضر فهي تعرف أيضا
~~تطبق في الماضي فهي تاريخية~~ وحينما تطبقها في الماضي فهي جغرافيا تاريخية
~~الاقتصاد الجغرافيا الاقتصادية للموارد الاقتصادية بسطح الأرض وبالطبيعة والتي تتوزعها~~
~~واستغلالها ونقلها إلى مناطق استهلاكها.~~

مفهوم الجغرافيا الاقتصادية: الموارد الأولية: هي الحاجات وهي الموارد الطبيعية التي سخرها الله عز وجل
كما هي معدنية ونباتية أو حيوانية من أجل تحويلها للاستعمال ... واستغلالها.

خطط حربية و تقيده بها، أما عزيمة القائم نستخلصها من خلال تحديه لطبيعة الأرض الصعبة و سوء الأحوال الجوية، أما تفطنه لمكائد البربر نستخلصها من خلال إحباطه لمحاولة قبيلة مطماطة و زبرقة مهاجمة معسكر القائم ليلا، إذ استعد لذلك عن طريق ايقاف السرج و المشاعل في كل مكان، ضف إلى ذلك حسن أداء خليل ابن اسحاق و جنده[1]، و هكذا نجحت الجيوش النظامية و خططها المرسومة في اقتحام مطماطة الذين طلبوا الأمان فلبى القائم ندائهم فيما ابن خزر هرب إلى الصحراء[2].

**المطلب الثالث: ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد(323هـ-935م):**

برزت هذه الثورة بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد ولد ببلد السودان و أصل أبيه من مدينة توزر و هو زناتي الأصل[3]، كان أبوه يختلف بالتجارة إلى السودان و هناك تعرف على أمه و تدعى سبيكة و هي جارية[4]، أثر به أبوه إلى المغرب فتعلم القرآن العظيم و درس أصول المذهب الإباضي ارتحل إلى سجلماسة و منها إلى تيهرت حين أفتى في الفقه الإباضي ثم عاد إلى توزر، كما اشتغل بتعليم الأطفال[5]، كان يلبس جبة صوف و على رأسه قلنسوة صوف و في عنقه سبحة، و كان أعرجا و عمره يوم ثار ستون سنة[6].

بعد وفاة المهدي أعلن أبو يزيد الخروج عن الفاطميين و معه رجلا يدعى أبو عمار الأعمى، فالتف حوله سائر الخوارج و بايعوه على قتال الشيعة، و لما علم القائم أمر عامله على قسطيلية* بالقبض على الثائر فاعتقل أبو يزيد و زج به في السجن[7]، إلا أن مساعده أبا عمار أخرجه بالقوة و هرب معه إلى صحراء سماطة، فأقاما بها مدة

---

(1)- سعد زغلول، المرجع السابق، ص، 108.

(2)- ابن حماد، المصدر السابق، ص 45.

(3)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج5، المصدر السابق، ص، 39.

(4)- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج3، تق، محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د، ت)، ص، 145

(5)- سعد زغلول، المرجع السابق، ص، 171.

(6)- ابن خلدون، المرجع السابق، ص، 53.

* قسطيلية: هي مدينة كبيرة قديمة عليها سور بني بالحجارة، و حولها أرباض واسعة و لها 4 أبواب و عليها غابة كبيرة و هي أكثر بلاد الجريد تمرا ومنها تمتاز جميع بلاد إفريقية و بلاد الصحراء و التمر و كثرته بها و رخصه و لأنها على طرف الصحراء لا يعلم ما ورائها و لا يقدر أحد على الدخول في الصحراء التي في قبلتها و أهلها مزيج من لبربر و العرب الفاتحين للمغرب. أنظر، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص، 155.

(7)- الداعي إدريس، المصدر السابق، ص، 249.

سنة ثم توجها إلى جبل أوراس حيث نزلا عند بني كملان من قبيلة هوارة فأذاع أنه خرج غضبا لله لاستخفاف الفاطميين بالشريعة الإسلامية[1].

تمكنت هذه القبائل الحريصة الإفلات من رقابة السلطة و تمكنوا من حشد عددا كبيرا من الأتباع، انتظر أبو يزيد الفرصة للخروج عن السلطة المركزية في المهدية، حين استطاع و بكل سهولة أن يثبت دعوته في قبائل الأوراس و تحريضهم على الفاطميين و اقناعهم بأنهم مدعون إلى قتال فئة من الكفار و الإطاحة بالعلويين المغتصبين أعداء الدين الإسلامي[2].

استعمل معهم أسلوب الإغراء إذ قال لهم بأنهم سيفوزون بنصيب وافر من الغنائم و إقامة نظام إسلامي أساسه المذهب الإباضي الخارجي، فلقي قبولا واسعا من قبل سكان جبال الأوراس و الزاب، و استقطب كذلك أهل السنة[3].

تسلحت حركة أبو يزيد بمثل دينية و سياسية أنعشتها عصبية الكتل الزناتية المعارضة تقليديا للكتلة الكتامية من أبناء جبال القبائل و نفوسة إذ تعد هذه الثورة امتداد لثورة زناتة فكانت بداية الثورة فعليا في أواخر جمادى الأولى عام 323هـ منتصف أيام عام 935م[4]، و يمكن تقسيم هذه الثورة إلى ثلاثة مراحل، مرحلة تقدم أبو يزيد العسكري حتى وصل إلى أسوار المهدية و تراجع فاطمي أما المرحلة الثانية فيها تعادل للقوتين أما المرحلة الثالثة تراجع قوة أبي يزيد و انهزام جيوشه.

---

(1)– أبو عباس أحمد بن السعيد(ت670هـ) طبقات المشائخ بالمغرب. ج1: تح، ابراهيم طلاي، (د، ط)، (د، ت)، ص، 56.

(2)– مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح، عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط، 2005، ص، 144.

(3)– سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، 120.

(4)– مبارك الميلي، المرجع السابق، ص، 146.

المرحلة الأولى:

ابتدأت بتنظيم غارات خارجية على باغاية* التي تعد أقرب مدينة محصنة، و اكتفى أبو يزيد بالحصول على الغنائم في بادئ الأمر، ثم اقتحامها[1]، لكنه فشل لقوة الحامية الفاطمية، و استمر بشن عدة عمليات عسكرية على المنطقة ؛ فأمر القائم عامل طبنة بالتوجه إلى باغاية و نجدتها؛ مما جعل أبو يزيد يفشل في الاستيلاء عليها و أدرك أنها تؤخره عن زحفه للاستيلاء على المدن الأخرى ؛ و بخاصة المهدية فاجتاح الزاب سنة 332هـ/944م، و استولى على قواعده[2]، إذ دخل بنو كيداس المقيمون في تلك النواحي في طاعته و سلموه رجال الحامية الكتامية، فقتلهم و سبى نسائهم، و أطفالهم، و وزع الغنائم على رجاله[3].

ولما استولى ابو يزيد على مرماجنة أهدى له رجل منها حمار أصهب أين صار يركبه و به كني بصاحب الحمار، و بسقوط مرماجنة في يدي أبو يزيد أثار ذلك الرعب و الهلع في مدينة الأربس و التي تعد مفتاح القيروان، فلاذ حاكمها بالفرار، و انظم ابراهيم بن نوبان بن أبي سلاس أحد قادة الجند لأبي يزيد و سأله الأمان لسكان الأربس فكان له ذلك، لكن أتباع يزيد لما دخلوها قاموا بالنهب و القتل و الحرق و لم يلتزموا بعهد الأمان[4].

* باغاية: مدينة عظيمة جليلة لها أنهار عامرة و عيون و مزارع و هي تحت جبل الأوراس و هذا الجبل يشق بلاد المغرب و إفريقية و بقرب باغاية قبر ماء غوس و هو قبر مثل الجبل العظيم مبني بأجر رقيق معقود بالرصاص و بنيت بجانبه طبقات صغار و موقّعهن فيه جميع الصور من الإنس و الطير و قد رم كثيرا من الأمم، هدم هذا القبر فلم يقدروا على ذلك لقوة بنيانه. أنظر مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، المصدر السابق، ص، 163.

(1)- محمد اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع للهجري، نشر و توزيع دار الثقافة، دار البيضاء، 1985، ص، 243.

(2)- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، 121.

(3)- ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص، 55.

(4)- سعد زغلول، المرجع السابق، ص، 175.

ثم استولى على مدينة تبسة* سنة 332هـ، فأحرق و قتل من احتمى بها من الفاطميين(1)، أمام هذه التطورات لا بد لنا أن نتساءل عن موقف القائم منها؟ و عن جيش الدولة الفاطمية الواجب عليه الدفاع عن ممتلكات دولته التي أخذت تسقط الواحدة تلوى الأخرى أمام قوة أبو يزيد؟.

لقد كان رد فعل القائم بطيئا نوعا ما، إذ اعتمد القائم على الحاميات الكتامية الموجودة في المدن لكن سقوط الأربس أيقضه من غفلته، و حثه على اتخاذ اجراءات عسكرية سريعة، لكن هذه الإجراءات الموجهة ضد ثورة أبو يزيد اتخذت موقفا دفاعيا و لم تكن لشن الهجوم(2).

إن الشيء الذي أضعف قوات القائم هو أنه وزعها إلى فرق و أرسل كل فرقة إلى منطقة، فبعث فرقة إلى القيروان بقيادة خليل بن اسحاق، ووجه بشري الخادم على رأس قوة عسكرية ليعسكر في باجة** و فرقة عسكرية قرب المهدية بقيادة ميسور الفتى(3).

في هذه الأثناء كان أبو يزيد يجهز جيشه للزحف للقيروان أين التقى فيها ببشري الخادم في باجة فكانت الهزيمة فيها لجيش الفاطميين، و سقطت باجة في طريق أبي يزيد نحو القيروان، و أرسل منصور بن منصور الهواري لملاحقة جيش بشري الخادم الذي التجأ أفراده إلى افريقية بعد هزيمتهم في معركة باجة، أما في القيروان ثار سكانها على حاكمها الفاطمي الحسن بن علي، و في هذه الأثناء استولى أبو يزيد في طريقه على رقادة اذ كان جيشه يتكون من مائة ألف بين فارس و راجل و زحف إلى القيروان و استولى عليها فكان لجنده أن قاموا فيها بالنهب و السلب(4).

---

* تبسة: مدينة ذات أنهار و مزروعات كثيرة و قرى عامرة ، أنظر، مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص: 161.

(1)- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، 121.

(2)- الشاعي إدريس، المصدر السابق، ص، 260.

**باجة: مدينة باجة على جبل شديد البياض يسمى الشمس لبياضه و هي كثيرة الأنهار و العيون و رخيصة الأسعار فإذا أخصبت البلاد لم تكن للحنطة بها قيمة و تسمت باجة هرى إفريقية فإن بها تمتاز جميع البلاد بها و بربرها لكثرة طعامها و رخصه و باسمها سميت باجة العرب بالأندلس. أنظر، مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص، 160.

(3)- محمد إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص، 244.

(4)- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص، 143.

حقق أبو يزيد انتصارا باهرا باستيلائه على القيروان و رقادة، صحيح أن القوات الفاطمية ضعفت و خسرت جزءا من جيشها، لكن لا ننسى أن المهدية ما زالت محصنة و كذلك جيش ميسور الفتى.

قبل أن يتوجه أبو يزيد للمهدية جمع العساكر حتى اكتمل له سبعة و ثمانون ألف، حاصر بهم مدينة سوسة* حصارا شديدا،[1] و نصب عليها الدبابات و المنجنيقات و قتل كثيرا من أهلها[2].

أرسل أبو يزيد رسالة لعبد الرحمن الناصر في الأندلس يخبره فيها بانتصاراته على الشيعة، و طلب منه مساعدات مالية و عسكرية؛ كما دعا أبو يزيد للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر من على منابر المدن التي خضعت له فكان هدف أبو يزيد منها هو تقوية موقفه و جمع أهل السنة حوله[3].

بعد أن استولى أبو يزيد على رقادة و القيروان اتجهت انظاره إلى المهدية فخرج يريدها في ربيع الأول سنة 333هـ، أين اصطدم بجيش ميسور الفتى الذي هزم و قتل على يد أبي يزيد و بهذا أصبحت الطريق أمام أبو يزيد ممهدة للاستيلاء على المهدية، فأمر القائم بحفر خندق حول المهدية و طلب دعم الكتاميين، و كذلك طلب دعم زيري بن مناد الصنهاجي فلبى ذلك[4].

جرت عدة اشتباكات بين قوات أبي يزيد و قوات القائم بعد زحفه على المهدية في الثالث من جمادى الآخرة سنة 333هـ، بعد عدة محاولات لاقتحام المهدية فشل أبو يزيد في اقتحامها، فمن أسباب ذلك تفرق جيشه و انشغاله بعمليات السلب و النهب و الحصول على الغنائم، خروج العديد من جنده و انضمامهم إلى الفاطميين، غضب الناس بعد ميله إلى البذخ و حياة الترف[5].

---

* سوسة: مدينة قديمة على ساحل البحر، وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب، و هو من أقرب البنيان فيه أقباء معقودة بحجر الشقف الذي يطفوا فوق الماء المجلوب من بركان صقلية و هي مخصوصة بكثير الأمتعة و جودة الثياب و جميع أشغال البنيان الرفيعة . أنظر، مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص، 160.

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص، 53.

[2]– عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 71.

[3]- عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية الأموية في الأندلس و دول المغرب. دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة، 1999م، ص، 171.

[4]- ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص، 56.

[5]- المصدر نفسه، ص، 57.

استغل القائم هذه الفرصة و قام بهجوم مضاد، و أمام عجز أبو يزيد في الاستيلاء على المهدية عاد إلى معسكره و انتهت المرحلة الأولى ببداية تراجع نفوذ أبي يزيد و عودة الثقة في نفوس الجيش الفاطمي[1].

المرحلة الثانية:

جهز أبو يزيد نفسه و جيشه بوضع خطة عسكرية جديدة كما أنه عاد للبس الصوف و ركوب الحمار، نجح القائد الفاطمي عمار بن علي في هزيمة قوات أبو يزيد في باجة كما حاول أهل الأريس الخروج عنه لكنه قمع ثورتهم و أحرقها ،أما القائم فقد استمر بخطته الدفاعية لإنهاك قوات الخارجي و حماية و تأمين الطرق إلى المهدية[2]

تمكن القائد الفاطمي الحسن بن علي من الانتصار على قوات أبو يزيد ثانية و استعاد باجة و قام بغارات ناجحة على الأوراس و هوارة و استولى على بتحبس و باغاية، أما أبو يزيد انتصر في الناحية الشرقية على طريق القبائل الصغرى و المسيلة و حاصر سوسة[3].

و بوفاة القائم في الثالث عشر شوال سنة 334 هـ بعد أن عهد لابنه اسماعيل أبي الطاهر بولاية العهد بعده فتلقب بالمنصور، فكتم أمر وفاة أبيه حتى يتم القضاء على أبي يزيد، و بهذا انتهت المرحلة الثانية[4].

المرحلة الثالثة:

تحول المغرب الأوسط إلى ميدان صراع بين قوات أبو يزيد و جيش الدولة الفاطمية، حيث جهز الخليفة الفاطمي المنصور حملتين إحداهما بحرية و الأخرى برية عسكر أفرادها قرب معسكر أبو يزيد في سوسة أين اصطدم

[1]– ابن الأثير، المصدر السابق، ص، 167.

[2]– الداعي إدريس، المصدر السابق، ص، 316.

[3]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص، 43.

[4]– الاسلام الحافظ الذهبي، العبر في خبر من غبر ، ج2، تح، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، ص، 50.

الطرفان في معركة كان الحسم فيها للجيش الفاطمي، فتراجع أبو يزيد للقيروان أين وجد سكانها قد أعلنوا ميلهم للفاطميين[1].

نتيجة لانتصارات القوات الفاطمية في معركة سوسة قرر المنصور الخروج و استعادة القيروان و كان معه جماعة من أهل القيروان، و بهذا أدرك الخارجي – أبو يزيد– أنه يواجه قوة مخالفة لسابقتها[2]، كما أنه أرسل إلى الخليفة الأموي يطلب منه الدعم فأجابه الخليفة بالموافقة و أمره بمساعدة مالية و عسكرية فكان أن عاد المدد العسكري الذي أرسله الناصر من حيث أتى بعد خبر هزيمة أبو يزيد في القيروان[3].

أراد أبو يزيد مفاجأة الجنود الفاطميين بهجوم مباغت لكن المنصور استطاع إجباره على التراجع بعد أن قاد الهجوم المضاد بنفسه[4]، أدرك أبو يزيد عدم الجدوى من مهاجمته للقيروان و أخذ يشن الغارات على سوسة و المهدية لاعتراض قوافل التموين و هدفه من وراء هذا هو تشتيت تركيز الجند الفاطمي عن الحرب[5].

التقى جند الطرفين سنة 335هـ، و سميت هذه المعركة بمعركة المشاعل لأنها استمرت كامل النهار و الليل على ضوء المشاعل، أين كانت الهزيمة لقوات أبي يزيد و الغلبة لجيش المنصور غير أن أبو يزيد فر و استولى جند المنصور على معسكره، و قتلوا من وجدوا فيه من أتباعه و في هذا الموضوع بنا المنصور مدينة سماها بالمنصورية[6]*.

على الرغم من انتصار القوات الفاطمية كان لا بد للمنصور من مطاردة أبي يزيد و إخضاع المناطق التي تعد

---

(1)– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص، 44.

(2)– سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، 136.

(3)– سامية مصطفى سعد: العلاقات بين المغرب و الأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، 2000م، ص، 95.

(4)– القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص، 333.

(5)– الداعي إدريس، المصدر السابق، ص، 363.

* المنصورية: مدينة بقرب القيروان، بنى المنصور هذه المدينة سنة 337هـ، و عمر أسواقها و استوطنها ثم صارت منزلا للأمراء من بعده و بعد أن ملك الفاطميون مصر أصبحت منزلا لبني باديس خربتها العرب لما دخلت إفريقية. أنظر: الياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص، 212.

(6)– الداعي إدريس، المصدر السابق، ص، 371.

مركز الدعاية و ثورته و هي الأوراس و منطقة الزاب[1]، فعلا حدث ذلك إذ خرج المنصور من نفس السنة في ربيع الأول لمطاردة أبي يزيد الذي أخذ ينظم صفوفه مرة أخرى لمهاجمة باغاية، غير أن المنصور سبقه إليها، أين لاذ أتباع أبو يزيد بالفرار إلى الصحراء لكن المنصور استمر في مطاردته[2].

يبدوا أن أبو يزيد كان متتبعا لأخبار المنصور فغادر جبل سالات الذي تحصن فيه عندما فر من المنصور إلى الحضنة فجهز جيشه للقتال أين اشتبك الطرفان في معركة ضارية نتج عنها خسائر لكلا الطرفين و لحق أبو يزيد بأتباعه إلى الصحراء.[3]

وجد أبو يزيد فرصته للخروج و الإغارة على المسيلة بعد أن و صلته أنباء مفادها مرض المنصور، لكن قبل وصول أبي يزيد أليها شفي المنصور من مرضه، و خرج لمواجهة أبو يزيد فالتقى الطرفان في معركة انتصر فيها المنصور و تعرض أبو يزيد إلى هزيمة نكراء و من أسباب انتصار الأول على الثاني هو انضمام قبيلة صنهاجة إلى المنصور[4].

حدث و أن اصطدمت قوات أبو يزيد ثانية مع قوات المنصور حول قلعة كيانة أين كان أبو يزيد متحصنا فيها[5]، غير أن قوات المنصور حاصرته و تمكنت من القبض عليه و قتل صاحبه أبو عمار الأعمى[6]، و قبض على أبو يزيد مثخنا بالجراح فأمر المنصور بمعالجته من جروحه و إبقائه أسيرا لديه، غير أنه توفي في ثمانية و عشرين من محرم سنة 336هـ متأثرا بجروحه[7]، فقال أحدهم أثناء القبض عليه:

---

(1)- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص، 138.

(2)- المرجع نفسه، ص، 139.

(3)- الداعي إدريس، المصدر السابق، ص، 393.

(4)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص، 335.

(5)- أبو عبد الله منصور العزيزي الجوذري، سيرة الإمام جوذر ( و به توقيعات الأئمة الفاطميين). تح: محمد كامل حسين، محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، ص، 48.

(6)- ابن عذارى، المصدر السابق، ص، 134.

(7)- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص، 333.

يا مخلد بن سبيكة    يا شر من في العشائر

خذ ما جنت يداك قب    ل من الصغائر و الكبائر

ذق هول شقك البطو    ن ما ارتكبت من الجرائر

يا شر من بكيانه    و كيان شر البرابر[1]

و بهذا انتهت ثورة أبي يزيد التي كادت أن تقصف بالدولة الفاطمية في المغرب لولا شجاعة المنصور و عزيمته، إذ قال أثناء مواجهته، لأبي يزيد " إن أنا لم آخذ أبا يزيد و أسلحته فلست بابن فاطمة و لست لكم بإمام"[2].

---

(1)– مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص، 148.

(2)– أبو عبد الله بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء، ج2، تح، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ص، 388.

## المبحث الثالث: دور الجيش في التوسع إلى المغرب الأقصى:

بعد أن سيطر عبيد الله المهدي على المغرب الأدنى و الأوسط، اتجهت أنظاره للسيطرة على المغرب الأقصى الذي كانت تحكمه الدولة الإدريسية مع العلم أن الدارسة ينتمون إلى آل البيت.

قامت الدولة الإدريسية على يد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب، الذي نجا من القتل في مأساة موضع يسمى "فخ" أوقع العباسيون فيه جماعة من العلويين من أحفاد الحسن بن علي، و كان ذلك سنة 169هـ[1]، هرب إدريس بن عبد الله إلى المغرب ثم لحق به أخاه سليمان الذي أنشأ لنفسه بمعاونة أخيه إدريس كيانا سياسيا في تلمسان، كما أنه كان مع إدريس هذا رجلا اسمه راشد قيل أنه كان بربري الأصل و هو الذي دله على بلاد المغرب، إذ تنكر في زي تاجر و أسس دولته في المغرب الأقصى[2].

لم تحافظ الدولة الإدريسية على كيانها الموحد و إنما بعد وفاة إدريس الثاني خلفه ابنه محمد بن إدريس إذ تصرف هذا الأخير تصرفا غريبا مفاده أخذ بنصيحة جدته كنزة وهي تقسيم الدولة بين إخوته الكثر، مع العلم أنه احتفظ لنفسه بالرياسة و أكتفى بفاس*، و اعتبر إخوته أتباعا له[3]،غير أنه من الطبيعي أن يتجه بعضهم للاستقلال بناحيته، و هذا ما جعلها دولة ضعيفة و مفككة[4] و استمر الحكم في المغرب الأقصى على يد الدولة الإدريسية بهذه الطريقة إلى غاية حكم يحي الرابع بن إدريس بن علي بن عمر بن إدريس، فكان أطيبهم ذكرا و أقواهم سلطانا و عدلا و حازما لم يزل على ملكه، إلا أن أتاه قائد الفاطميين مصالة حبوس سنة 305هـ[5].

---

(1)– حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب و الأندلس. مكتبة الأسرة: 2004م، ص: 125.

(2)– محمود إسماعيل: الأدارسة( 176–375هـ)، مكتبة مدبولي، القاهرة: 1411هـ–1991، ص: 56.

*– فاس: مدينة بالمغرب الأقصى بناها الإمام إدريس، بعد أن اختبر تربتها و هواءها و رياحها و مائها رفع يديه إلى السماء و قال "اللهم اجعلها دار علم و فقه يتلى بها كتابك و تقام بها سنتك و حدودك و اجعل أهلها متمسكين بالسنة و الجماعة "، و السبب في تسميتها بفاس فقيل، أن الإمام إدريس لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيديه فوضع له بعض خدمه فأسا من ذهب مكثر ذكر ذلك الفاس في طول مدة البناء فسميت مدينة فاس لأجل ذلك، و قيل كذلك أنها سميت فاس لما شرع في حفر أساسها وجد في الحفير فأس كبيرة طوله أربعة أشبار فسميت المدينة به. أنظر: علي الجزنائي: جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس.تح: عبد الوهاب بن منصور ،المطبعة الملكية ،الرباط،1411هـ–1991م، ص: 24.

(3)– عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم( الدولة الإدريسية)، مج4، 1407هـ–1997م، ص، 22.

(4)– حسين مؤنس: المرجع السابق، ص، 130

(5)– عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص: 68.

زحف مصالة بن حبوس من تيهرت متجها نحو المغرب الأقصى، اين اصطدم بيحي بن إدريس قرب مكناسة فانهزم يحي بن إدريس و فر إلى فاس ثم تقدم مصالة إلى فاس و حاصرها إلا أن صالحه يحي على مال يؤديه إليه و أن يبايع عبيد الله فقبل يحي هذه الشروط، و أبقاه مصالة على فاس، وولى ابن عمه موسى بن العافية على ما بقي من بلاد المغرب الأقصى[1].

وكان موسى بن أبي العافية بعد ذهاب مصالة كلما أراد الاستبداد في المغرب الأقصى ذكره يحي بن ادريس بحسبه و نسبه و دينه ما جعل موسى يكن له حقدا كبيرا، فلما قدم مصالة إلى المغرب الأقصى ثانية سنة 309هـ،شكى موسى يحي بن إدريس إلى مصالة، فلما قرب مصالة من فاس خرج إليه يحي مع وجوه من دولته للقاء السلام و التحية[2]؛ غير أن مصالة قبض عليه و قيده و أدخله معه إلى فاس مكبلا، ثم عذبه و نفاه بعدها إلى نواحي أصيلا و قد ساءت حاله، لما استحسن حاله قبض عليه موسى بن أبي العافية مرة ثانية و سجنه قرابة عشرين سنة، فخرج من سجن أبي عافية في حالة فقر مدقع[3].

لما قبض على يحي بن إدريس ونفاه، استعمل على فاس ريحان الكتامي و عاد إلى القيروان فأقام ريحان عليها عاملا حوالي ثلاثة أشهر و ثار عليه الحسن بن محمد القاسم بن إدريس المعروف بالحجام*، و كان ذلك سنة 310هـ، إذ دخل فاس و قتل ريحان و قبل نفاه عنها، و اجتمع الناس على بيعته و سيطر على عدة مدن منها لواتة، صفرون، مدين، و مدائن مكناسة و البصرة[4].

---

(1)- أبو العباس أحمد خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى. ج1، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ-1997م، ص.238

(2)- ابن عذارى، المصدر السابق، ص، 131.

(3)- ابن ابي الدينار، المصدر السابق، ص، 100

* الحجام: سمي بهذا الاسم لأنه كانت حرب بينه و بين ابن عمه فحمل الحسن على فارس من أصحاب عمه فطعنه في موضع المحاجم و فعل ذلك بثان و ثالث لا يطعنهم إلا في موضع المحاجم فقال عمه ان ابن أخي الحجام فلزمه ذلك اللقب و في ذلك يقول بعضهم:

و سميت حجاما و لست بحجام  و لكن لطعن في مكان المحاجم.

أنظر، الناصري، المصدر السابق، ص، 249.

(4)- ابن خلدون، المصدر السابق، ص، 21.

و في سنة 311هـ، خرج الأمير الحسن الحجام إلى قتال موسى بن أبي العافية فلتقيا بفحص الزاد على مقربة من وادي المطاحن ما بين تازا و فاس أين تلقى موسى هزيمة عظيمة على يد الحجام فقتل فيها عسكر لابن أبي العافية نحو ألفين و ثلاثمائة من جملتهم ابن منهال بن موسى بن أبي العافية، أما من جانب عسكر الحجام فقتل نحو سبعمائة، لكن في المواجهة الثانية بينهما انهزم الحجام و فر إلى فاس، فخدعه عامله و هو حمدان و أغلق عليه أبواب المدينة و استدعى موسى للقبض عليه، و لما قبض موسى على الحجام و استولى على فاس ندم حامد على ما فعله بالحجام و فك قيده[1].

عندما استولى موسى بن أبي العافية على فاس و المغرب الأقصى فر الأدارسة إلى قلعة حجر النسر و هي حصن منيع بناه محمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس[2].

استعمل موسى على المغرب الأقصى ابنه ثم توجه إلى تلمسان سنة 319هـ، فملكها و كانت بيد الحسن بن أبي العيش الذي فر إلى مينة و بنى حصنا و تحصن به، ثم زحف ابن أبي العافية إلى مدينة نكور فملكها، ثم عاد إلى فاس و كان قد سيطر على المغرب الأقصى و الأوسط[3]، و بهذا انقض موسى على الفاطميين و مال إلى الأمويين في الأندلس، و خطب للخليفة الأموي الناصر على منابر البلاد التي استولى عليها.[4]

أصيب الفاطميون بخيبة مريرة عندما بلغهم أن عميلهم موسى بن أبي العافية الذي استعملوه لتطويع المغرب الأقصى لهم، انقلب إلى مبايعة الخليفة الأموي، فأعلنوا عليه الحرب إذ أرسل عبيد الله عامله على تيهرت حميد يصلتين المكناسي في عشرة آلاف فارس ، فالتقى حميد و موسى في فحص مسون فكانت بينهم حرب سجال استطاع حميد أن يهزم موسى و أصحابه[5].

---

(1)– بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس( في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس)، صور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972م، ص: 85.

(2)– ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 22.

(3)– بن أبي زرع: المصدر السابق، ص: 84.

(4)– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 158.

(5)– عبير الهادي النادي: المرجع السابق، ص: 70.

عندما تقدم حميد إلى فاس فر عنها مدين بن موسى بن أبي العافية و لحق بأبيه و استعمل حميد عليها حامد بن حمدان، و لما وصلت أنباء موسى إلى بني إدريس في قلعة حجر النسر قويت أنفسهم، غير أنه لم يستقر الأمر إلى حامد بن حمدان بعد على فاس و ثار عليه أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي الذي قتل حمدان و بعث برأسه إلى موسى، و أعلنت الدعوى على المنابر من جديد إلى عبد الرحمن الناصر[1].

في الحقيقة أن العلاقة بين الفاطميين و الأمويين في الأندلس تميزت بالعدائية، و هي استمرار للنزاع القديم الذي قام في الشرق بين العلويين بعامة و الأمويين.[2]

لا شك أن قيام دولتين متجاورتين على أسس مذهبية مختلفة كان كافيا بأن يسبب صداما بينهما، فكانت نظرة الفاطميين للأمويين في الأندلس على أنهم امتداد للأمويين في المشرق، فكان هدف عبيد الله هو السيطرة على الأندلس، فحدث أنه بعث بدعاته متنكرين في زي التجار إلى الأندلس لنشر المذهب الشيعي و التجسس للوقوف على أحوال البلاد، و إثارة بعض حكام مدنه عليه[3].

حارب الأمويين الفاطميين بنفس سلاحهم إذ قاموا ببث جواسيس لهم في المغرب، و فتح أبواب بلادهم للأعداء الفاطميين في المغرب و منهم أبناء سعيد بن صالح أمير نكور، و انضم إليه كذلك موسى بن أبي العافية[4]، كذلك شعر الخليفة الناصر بالخطر الفاطمي الذي بات يهدد الأندلس خاصة بعد استيلاء الفاطميين على المغربين الأوسط و الأقصى ، و أدرك أنه إن لم يتصدى لهذا التوسع فسوف يطغى على دولته، فوجه اهتمامه للوقوف في وجه المد الفاطمي و القضاء على أطماعهم فقرر التوسع في بلاد المغرب الأقصى لبسط نفوذه عليه و اتخاذه خطا دفاعيا في وجه الفاطميين[5].

(1)- سهيل طقوش: المرجع السابق، ص، 114.

(2)- أحمد المختار العبادي، المرجع السابق: ص: 237.

(3)- سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص، 80.

(4)- عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ( التاريخ السياسي)، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م، ص، 366.

(5)- أحمد المختار العبادي: المرجع السابق، ص، 240.

أرسل القائم قائده ميسور الفتى إلى المغرب غير أن موسى لم يواجهه و اعتصم بحصن آلكاي فتقدم ميسور إلى فاس فحاصرها أياما إلى أن خرج إليه أحمد بن بكر مبايعا و معه هدية و مالا غير أن ميسور قبض عليه و بعث به إلى المهدية[1].

فقام أهل فاس و بايعوا على أنفسهم حسن بن القاسم اللواتي، فحاصرهم ميسور سبعة أشهر و لما طال عليهم الحصار عرضوا عليه السلم و أعطوه ستة آلاف دينار، و كتبوا بيعتهم إلى القائم، فقبل ميسور ذلك و أقر عليهم حسن بن قاسم اللواتي الذي أعلنوه على أنفسهم[2].

و لما صالح ميسور أهل فاس نهض إلى حرب ابن أبي العافية فدارت بينهم حروب كان الظهور في آخرها لميسور إذ أسر ابن موسى، و طارد موسى إلى الصحراء[3].

و في هذه الأثناء استولى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر على بعض الثغور الواقعة على الساحل المغربي المواجهة للشاطئ الأندلسي الجنوبي التابعة للأدارسة منها طنجة* و مليلية و سبتة**.

وصلت أخبار توسع الناصر للخليفة الفاطمي المعز لدين الله على بلاد المغرب الأقصى و من بها من قبائل زناتة و البربر و أنهم دخلوا في دعوة بني أمية، أرسل قائده جوهر في جيش كثيف يشتمل على عشرين ألف فارس من قبائل كتامة و صنهاجة[4]، خرج جوهر من القيروان سنة 347هـ، فوصل خبر قدومه إلى يعلي بن محمد

---

(1)– الناصري، المصدر السابق، ص، 245.

(2)– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص، 86.

(3)– ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص، 100.

* طنجة: و هي مدينة كبيرة أزلية فيها آثار كبيرة و قصور و أقباء، و طنجة في آخر حدود إفريقية بالمغرب فيها أصناف الفواكه الطيبة العجيبة، دون غراسة و لها نهر كبير تدخل فيه السفن يصب في البحر و هو يأتي من جبال طنجة. أنظر، مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص، 128.

** سبتة: بفتح السين المهملة و سكون الباء الموحدة، و تاء مثناة و النسبة إليها سبتي بكسر السين و هي مدينة بين بحرين بين بحر المحيط و بحر الروم و مدخلها من جهة المغرب و هو مدخل ضيق و البحر محيط بأكثرها و هي سبعة أجبل صغار متصلة ببعضها البعض طولها من الغرب إلى الشرق نحو ميل. انظر، القلقشندي، صبح الأعشى. ج5، ص، 158.

(4)– ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص: 207.

اليفرني صاحب طنجة و خليفة الناصر على بلاد المغرب الأقصى، فحشد جيشه من قبائل زناتة و خرج للقاء جوهر [1].

فكان اللقاء في تيهرت فالتحمت الحرب و أعطى جوهر للكتاميين مالا فضمنوا له قتل يعلي بن محمد و فعلا نجحوا في ذلك و قطعوا رأسه و أتوا به إلى جوهر فبذل لهم مالا جليا بشارة عليه و بعث برأسه إلى مولاه المعز فطيف به في القيروان[2].

ثم تقدم جوهر إلى سجلماسة، و كان قد قام بها محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف بالشاكر لله فادعى الخلافة و ضرب السكة باسمه [3]، فنزل عليه جوهر و حاصره بسجلماسة و اقتحمها عنوة و قبض عليه و ساقه أسيرا بين يديه حتى نزل على فاس و كان ذلك سنة 349هـ، فحاصرها و دار بها القتال من كل جهة ثم اقتحمها عنوة و كان ذلك من قبل زيري بن مناد الصنهاجي الذي تسلق أسوارها ليلا و دخلها فقتل بها خلقا كثيرا و قبض على أميرها أحمد أبي بكر الزناتي، الذي ولاه الناصر عليها، فنهب المدينة، و هدم أسوارها[4].

ثم سار جوهر إلى المدن الأخرى يفتحها، و أخضع كافة مدن المغرب الأقصى في مدة ثلاثين شهرا و انتهى إلى البحر المحيط و صاد من سمكه و جعله في قلال الماء و أرسله الى مولاه المعز[5].

عاد جوهر إلى المهدية و حمل معه أحمد بن أبي بكر اليفرني أمير فاس و خمسة عشر رجلا من أشياخها و معه أيضا محمد بن أبي الفتح أمير سجلماسة و دخل بهم أسرى في أقفاص من خشب على ظهور الجمال

---

(1) علي إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص، 15.

(2)– الناصري، المصدر السابق، ص، 254.

(3)– ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص، 207.

(4)– الناصري، المصدر السابق، ص، 254.

(5)– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص، 51.

فطيف بهم في بلاد إفريقية[1].

يرجع الفضل في امتداد النفوذ الفاطمي على كافة بلاد المغرب الأقصى إلى جوهر الصقلي و زيري بن مناد الصنهاجي[2].

(1)– مؤلف مجهول: الخليفة المعز لدين الله باني القاهرة و منشئ الجامع الأزهر ما كان مرتدا و لا نصرانيا و لكن كان حنيفا مسلما، (د. ط)، 1931م، ص: 5.

(2)– حسن علي إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص: 155.

## المبحث الرابع: نشاط الجيش في صقلية:

لقد كان مصير صقلية منذ القديم أن تكون مفرق حضارات، فلم تنفك هذه الجزيرة ذات الحياة القوية المستمرة على هذا النسق تجلب الغزوات و قد خضعت لحضارات متنوعة إلا أنه لم يتمكن المسلمون من إخضاعها إلا في عهد الأغالبة[1]

### المطلب الأول: أهمية صقلية:

يفصل جزيرة صقلية عن إيطاليا مضيق مسينة الضيق، و لذلك فإن الجزيرة امتداد جغرافي لشبه الجزيرة الإيطالية، كما تقع الجزيرة على مسافة يسهل عبورها بحرا من الشمال الإفريقي.

يمكن تقسيم صقلية إلى ثلاثة أقاليم جغرافية هي إقليم مازر و إقليم نوطش و إقليم دمنش و كان هذا التقسيم ذا أهمية بالغة أثناء احتلالها من قبل المسلمين، فكانت ديانة أهل مازر الاسلامية، أما أهل إقليم نوطش دون ذلك، و أما ديانة أهل إقليم دمنش ما زال معظمهم نصارى[2].

نظرا لأهمية موقع هذه الجزيرة الواقعة في قلب البحر الأبيض المتوسط و في الجهة المقابلة لإفريقية اهتم الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، بفتحها و ذلك لحماية المدن الساحلية التي فتحها المسلمون من غارات البيزنطيين الذين يمتلكون أسطولا بحريا قويا[3].

فأنشأ معاوية بن أبي سفيان والي الشام و عبد الله بن سعد والي مصر أسطولا بحريا لمحاجمة البيزنطيين بحرا لكن هذا الأسطول كان له دور دفاعي أكثر منه هجوميا، و دليل ذلك أن معاوية بن أبي سفيان أرسل معاوية بن

---

(1)– علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص، 609.

(2)– عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، 1381هـ-1980م، ص، 8.

(3)– محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 165.

حديج لفتح صقلية و لكون هذا الأسطول ما زال في بدايته لم يستطع التغلب على الأسطول البيزنطي الدفاعي[1].

حاول المسلمون فتح صقلية عدة مرات فكان ذلك دون جدوى إلا أن حظي الأغالبة باستقلالهم الذاتي عن الخلافة العباسية مقابل دفع خراج للخلافة قدره أربعون ألف دينار في العام، أين واجهوا مشكلة تأمين التجارة العربية في البحر المتوسط، فتمت معاهدة هدنة مع البطريق البيزنطي في صقلية غير أن هذه المدنة انتهت و قاد الأغالبة حملة ضد صقلية لكنهم فشلوا في فتحها[2].

في هذه الأثناء دب صراع بين والي صقلية البيزنطي و قائد أسطوله فيمي، فكان هذا الأخير حازما شجاعا، غزا إفريقيا ،ثم إن ملك الروم كتب إلى قسطنطين والي صقلية البيزنطي، يأمره بالقبض على فيمي مقدم الأسطول و تعذيبه[3]، فبلغ الخبر إلى فيمي فأعلم أصحابه، و أعانوه على عصيانه، فجرت بينه و بين قسطنطين عدة مواجهات فركب فيمي و من معه في مراكبهم إلى إفريقية و أرسل إلى زيادة الله يستنجده و يعده بملك جزيرة صقلية[4].

لقد شكل هذا الأمر خلافا كبيرا في القيروان إذ رأى البعض أنه من غير اللائق الإخلال بمعاهدة السلام مع البيزنطيين، و اعتبر البعض الآخر أن البيزنطيين قد خرقوا المعاهدة، فعرض زيادة الله الأمر على القاضي أبي محرز محمد*

---

(1)– عزيز أحمد، المرجع السابق، ص، 9.

(2)– المرجع نفسه: ص، 12.

(3)– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص، 222.

(4)– ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص، 437.

* **أبي محرز محمد:** هو ابو محرز محمد بن عبد الله بن قيس بن يسار بن مسلم الكناني القاضي، كان شديد الورع، تولى القضاء كارها من قبل إبراهيم بن الأغلب، و عندما ولي القضاء جمع كل عبد له و ماشيته و أراهم للناس و قال "لهم هذا ما املكه، إنما عرفتكم عليه لتعلموا أنني متى زدت على ذلك فاعلموا إني خائن". أنظر:ابي بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس( في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و سير من أخبارهم و فضائلهم)، ج1، تح: بشير بكوش،، مرة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص، 278.

و أسد بن الفرات*، فالأول رأى ضرورة جمع معلومات أدق عن صقلية و الثاني تحمس للأمر و دعا لضرورة الجهاد[1].

فسار جيش الأغالبة نحو صقلية و كان قائده أسد ابن الفرات، و كان ذلك في ربيع الأول سنة 212هـ، قدر جيش أسد بن الفرات خمسة عشر ألفا و ما بين سبعين و مائة مركب، انضمت إليها قوات فيمي المتواجدة في إقليم مازر و منه أخذ أسد بن الفرات في الاستيلاء على مدن صقلية الواحدة تلو الأخرى[2].

حل بالمسلمين وباءا شديدا سنة 213هـ، هلك فيه كثير منهم و هلك فيه كذلك قائد الجيش أسد بن الفرات الذي كان محاصرا لسرقوسة[3]**، فولي المسلمون عليهم محمد بن أبي الجواري[4].

استمر الأغالبة في فتحهم لجزيرة صقلية بعد الخسائر الفادحة في عناصر جيشهم بعد الوباء الذي حل بهم و تمكنوا من إخضاع إقليم نوطس و بعد سنة من ذلك تمكنوا من إخضاع إقليم دمنش، و بهذا نجحوا في الاستيلاء على صقلية و ضمها إلى الدولة الأغلبية[5].

لقد كان لسقوط الدولة الأغلبية في المغرب الأدنى على يد الفاطميين أثرا سلبيا على صقلية انطلاقا من كونها ممتلكا للدولة الأغلبية.

---

* **أسد بن فرات:** هو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان أصله من خرسان نيسابور و لد بحران سنة 142هـ، دخل القيروان مع والده و عمره عامين سنة 144 هـ، سمع من علي بن زياد الموطأ و تعلم منه العلم ثم ارتحل إلى المشرق فلقي مالكا وواظب عليه و طلب عليه العلم و سمع منه الموطأ ثم رحل إلى العراق فلقي أصحاب أبي حنيفة او بعد وفاة الإمام مالك رحل الى مصر أين ألف "الأسدية" و قدم بها القيروان و سمعها منه خلق كثير ثم ولاه زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب قضاء إفريقية سنة 203هـ فأقام قاضيا عليها. أنظر المالكي، المصدر السابق، ص، 255.

(1)- عزيز أحمد، المرجع السابق، ص، 13.

(2)- عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية. تح، أحمد ميلاد، محمد ادريس، تق، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص، 222.

** **سرقوسة:** بفتح أوله و ثانيه ثم قاف و بعد الواو سين أخرى، أكبر مدينة بجزيرة صقلية، كان بها سرير ملك الروم قديما طولها تع و ثلاثون درجة و ثماني عشرة دقيقة و عرضها تسع و ثلاثون درجة. أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص، 214.

(3)- ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1408هـ-1988م، ص، 50.

(4)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص، 438.

(5)- عزيز أحمد، المرجع السابق، ص، 24.

لقد حرص الفاطميون على نشر نفوذهم في جزيرة صقلية لأسباب سياسية و اقتصادية، فمن الناحية السياسية كانت الدولة الفاطمية تهدف إلى اتخاذها كقاعدة عسكرية لتؤمن بذلك على الساحل الإفريقي و بلاد المغرب من غارات البيزنطيين، و من الناحية الاقتصادية تعتبر جزيرة صقلية غنية بمختلف المنتوجات الزراعية من فواكه و حبوب، و كذلك المعادن و زيت النفط و الفضة...إلخ[1].

**المطلب الثاني: دور الجيش الفاطمي في إخماد ثورات صقلية( 304هـ/917م):**

ما كادت ترجح كفة أبو عبد الله الشيعي و ينتصر على الأغالبة، حتى هب أهالي صقلية على واليهم السني الحسن بن رباح الذي كان يحكم هذه الجزيرة باسم الأغالبة، وولوا عليهم عليا بن أبي الفوارس سنة 296هـ، غير أن عبد الله كان قد وضع لنفسه سياسة الاعتماد على الكتاميين فقبض على ابن أبي الفوارس ووليّ مكانه الحسن بن أحمد بن أبي خنزير الكتامي[2].

وصل ابن خنزير إلى مازر يوم عيد الأضحى العاشر من ذي الحجة سنة 297هـ، و ما إن استقر في العاصمة بلرم بدأ بإقرار الأمور في الجزيرة و اتبع سياسة القوة و الحسم، و في مطلع سنة 298هـ ثار عليه النصارى في دمنش[3]، التي تعرضت لأعمال العنف و الحرق من قبل ابن خنزير، و بعد مدة من هذا صادفته عقبة أخرى و هي ثورة أهل صقلية عليه إذ خلعوه من الإمارة سنة 299هـ، و ألقوا به في السجن و بعثوا للمهدي يعتذرون له عما بدر منهم فقبل عذرهم[4]، و السبب في طرد ابن خنزير من صقلية هو تعصب السنيون منه لجوره و استبداده بهم، فكون ابن أبي خنزير بربريا شعر عرب صقلية بأنه أرفع منهم قدرا، هذا من ناحية و من ناحية

---

(1)– عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 165.

(2)– حسن إبراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص، 199.

(3)– سعد زغلول، المرجع السابق، ص، 147.

(4)– ابن عذارى، المصدر السابق، ص، 104.

أخرى اتضح لهم أن الحسن يقرب إليه البربر و يهمل شأن العرب، و عز عليهم كذلك أن تخطب على منابرهم للخليفة الفاطمي[1].

استعمل المهدي على صقلية، علي بن عمر البلوي، فكان شيخا لينا، فلم يرضى أهل صقلية بسيرته فعزلوه عنهم و ولو أحمد ابن قرهب، الذي كان من أشراف العرب في بلرم، و ينتمي لأسرة وثيقة الصلة بنسب الأغلب[2].

أبدى ابن قرهب نشاطا ملموسا في الناحية الحربية، إذ أغار على قلورية سنة 300هـ، فكان يميل إلى الزعامة و يعمل للاستقلال بصقلية، و بيدوا أن نزعته الاستقلالية، أدركها أنصار الفاطميين، و اشعلوا نار الثورة على ابنه و كادوا أن يقتلوه لولا أن تصدى لهم العرب من السنيين[3] فأدرك بذلك ابن قرهب أن أمره قد افتضح و خشي انتقام الفاطميين فثار عليهم و أعلن ولاءه للعباسيين سنة 304هـ، و قطع الخطبة للمهدي في صقلية و خطب للخليفة المقتدر العباسي، و أرسل أسطوله لمهاجمة سواحل بلاد المغرب[4].

فاصطدم أسطوله بأسطول المهدي فأحرق الأسطول و قتلوا الحسن بن خنزير قائده، و حملوا رأسه إلى ابن قرهب و سار الأسطول الصقلي إلى مدينة سفاقس* فخربوها و ساروا إلى طرابلس فوجدوا فيها القائم فعادوا[5] و بعث الخليفة العباسي المقتدر لابن قرهب الأعلام العباسية السوداء و الملابس الرسمية السوداء، و سير أيضا أسطولا إلى افريقية فخرج عليه أسطول المهدي أين انهزم أسطول ابن قرهب[6].

---

(1)– حسن إبراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص: 200.

(2)– عزيز أحمد، المرجع السابق، ص: 32.

(3)– حسن إبراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص، 201.

(4)– ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص، 82.

* **سفاقس**: بفتح أوله و بعد الألف قاف و آخره سين مهملة، مدينة من نواحي إفريقية حل غلاتها الزيتون و هي على ضفة الساحل بينها و بين المهدية ثلاثة أيام و بين سوسة يومان و بين قابس ثلاثة أيام و هي على البحر ذات سور بها أسواق كثيرة و مساجد و حمامات، يصدر زيت زيتونها إلى مصر صقلية و الروم و يكون بها رخيصا. انظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص، 223.

(5)– حسن إبراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص، 201.

(6)– ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص، 49.

لم يستقم حال ابن قرهب بعد ذلك إذ ثار عليه أهل جرجنت و عصوا أمره و كاتبوا المهدي، و أعلنوا العودة إلى طاعته و لما علم ابن قرهب بذلك قرر ترك الحامية و اللجوء إلى الأندلس، لكن معارضيه حالوا بينه و بين المرب فهجموا على مراكبه و نهبوا ما فيها من أموال و متاع، و قبضوا عليه و ابنه و بعثوا بهما إلى سوسة مقيدين[1]، فقال المهدي لابن قرهب :" ما حملك على الخلاف علينا و جحد حقنا" فقال له ابن قرهب" أهل صقلية ولوني و أنا كاره و خلعوني و أنا كاره"، فانصرف عبيد الله به إلى رقادة و أمر بابن قرهب و أصحابه فضربوا بالسياط و قطعت أيديهم و أرجلهم على قبر ابن ابي خنزير[2].

أدرك عبيد الله أن حكمه في صقلية لن يستقر إلا إذا أرسل مع واليها جيش يدفع عنه خطر الثائرين على الحكم الفاطمي، لأن أهل صقلية يكثرون الشغب على أمرائهم، و لا يطيعونهم و ينهبون أموالهم فولى المهدي عليهم أبو سعيد موسى بن أحمد المعروف بالضيف، فأخرجه مع جماعة من كتامة الذين يشكلون العمود الفقري للجيش الفاطمي[3].

انطلقت حملة الفاطميين البرية و البحرية من ميناء طرابلس في أوت سنة 304هـ، و وصلت في سبتمبر من نفس السنة، فكان وصول هذه القوات البرية و البحرية بمثابة إنذار لأهل صقلية ففي اكتوبر من نفس السنة قام أهل صقلية على ابن سعيد و تحالفت طوائف عرقية مع بربر و عرب و نصارى ضده، و ضربوا حصارا عليه لكنه تمكن من كسر هذا الحصار، و انتهى القتال بهزيمة الثوار و تراجعهم إلى بلرم، فتتبعتهم قوات ابن سعيد و حاصرتهم برا و بحرا لمدة ستة أشهر و قتلت عددا من رؤسائهم و أسرت الكثير منهم[4].

---

(1)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص: 27.

(2)- ابن عذارى، المصدر السابق، ص، 105.

(3)- سعد زغلول، المرجع السابق، ص، 147.

(4)- المرجع نفسه، ص، 152.

بعث ابن سعيد يخبر المهدي بانتصاراته مستغلا الفرصة لطلب المزيد من الامدادات فكان له ذلك، وصلت المراكب الحربية وعليها أعداد وفيرة من العسكر[1].

عندما رأى الثوار هذه القوات العسكرية ما كان لهم طلب سوى طلب الأمان، و بذلك دخلت العساكر بلرم و تسلم أبو سعيد الضيف المدينة في الثاني عشر من مارس سنة 305هـ، هـ، فجرد أهلها السلاح و الخيل و فرض عليهم غرامة مالية ثقيلة، و أتاه كتاب من المهدي يأمره بالعفو العام[2].

أصبحت بعد ذلك الأمور أكثر استقرارا في صقلية، فعين أبي سعيد سالم بن راشد واليا عليها و ترك معه حامية كتامية و عاد إلى القيروان[3].

من خلال ما تقدم رأينا أنه ما إن ينصب والي على صقلية يعلن أهلها العصيان و التمرد ففي عهد القائم قامت ثورة جرجنت تلتها ثورة في بلرم و سادت بعدها في معظم أرجاء الجزيرة، ضد سياسة سالم بن راشد فكتب أهل صقلية إلى القائم يؤكدون ولائهم له غير أنه لم يعد بإمكانهم تحمل طغيان سالم بن راشد[4]، و لما رأى هذا الوالي إفلات زمام الأمور من يديه قرر الاستنجاد بالخلافة و أرسل يستمدها الجنود فأمده الخليفة بجيش كبير استعمل عليه القائد خليل بن إسحاق، بيد أن شيئا حدث: فقد تحول أهل صقلية من موقف المسالمة إلى إعلان الحرب ضد الجيوش الفاطمية، فاهتدى سالم إلى حيلة منه إذ أوهم الثوار أن جيش خليل جاء لينتقم منهم، جزاء من قتلوا من جنود الفاطميين، و نجح في حملهم على معاودة الخلاف و الاستعداد للحرب[5].

---

(1)– عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص: 168.

(2)– ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص. 28.

(3)– ابن عذارى، المصدر السابق، ص: 106.

(4)– عزيز أحمد، المرجع السابق، ص. 34.

(5)– عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص: 169.

استنجد الثوار بملك القسطنطينية و طلبوا من الامبراطور قسطنطين السابع " الأرجواني" معاونتهم و امدادهم بالمال و الرجال و أرادوا جعلها حربا بين البيزنطيين و الفاطميين.

لقد واجهت الدولة الفاطمية هذا الموقف فأرسلت إلى القائد خليل تمده بعدد كبير من العساكر و رسم القائد الفاطمي خطته على أساس محاصرة القلاع و حملها على السقوط فتهاوت الواحدة تلوى الأخرى و لما أنزل القائد خليل أهل جرجنت من قلعتهم، أهانهم و انتقم منهم، فكان على القلاع الأخرى أن أعلن أهلها الطاعة خوفا من أن يلحقهم نفس المصير[1].

استطاع القائد خليل أن يعيد الأمن إلى الجزيرة مرة أخرى بعد ان أخضع أهل جرجنت، و بلرم و إقليم مازر و عاد هو إلى إفريقية بعد أن تأكد من استتباب الأمور و ولى عليها واليا يعرف بالعطاف[2].

و بهذا يمكن القول بنجاح الجيش الفاطمي من إخضاع أهل صقلية،و هذا بفضل استعداد رجاله و براعة قواده و إحكام خططه، ضف إلى ذلك أن الجيش الفاطمي قد تعود على مثل هذه المواقف إذ أنه منذ وفاة الداعي، انحصرت مهمة الجيش في إخضاع الثائرين عن الدولة الفاطمية.

**المطلب الثالث: اتخاذ صقلية قاعدة عسكرية للجيش الفاطمي:**

اتخذ الجيش الفاطمي صقلية قاعدة تحرك منها لغزو بعض بلدان أوروبا و وجه منها نشاطه العسكري ضد الدولة البيزنطية، و نظرا لكون صقلية جزيرة سيكون للأسطول الفاطمي نصيب وافر في العمليات الحربية[3].

تمكن الجيش الفاطمي المتواجد في صقلية من فتح غديران و أبرجة و أرض قلورية ، ووصل إلى مدينة أدرنت كما أرسل صابر الفتى على رأس ثلاث حملات، ففي الحملة الأولى سار في أربعة و أربعين مركبا، و في الحملة الثانية خرج من صقلية فافتتح موضعا يعرف بالقيسران و قلعة الحسب ثم فتح مدينة سلبر و نابل صلحا، و عاد إلى قاعدته و في الحملة الثالثة تمكن من فتح مدينة ترمولة و أخذ منها سبيا كبيرا[4].

[1]– عزيز أحمد، المرجع السابق، ص، 34.

[2]– عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 169.

[3]– المرجع نفسه، ص، 173.

[4]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص، 58.

و بهذا مكنت صقلية الفاطميين من تحقيق هدفهم و هو السيطرة على البحر الأبيض المتوسط بعد استيلائهم أو إخضاعهم لجنوة و سردينيا و فرفسيا و كورسيكا، كما برهن الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله طموحه في التوسع[1]، إذ تمكن من فتح قلعة طبرمين و التي تعتبر من أشد الحصون و أصعبها[2]، إذ لم يستطع قائد الجيش الفاطمي و هو أحمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسن و والي صقلية من فتحها إلا بعد أن قطع المياه عن سكانها؛ فكان لهم أن طلبوا الأمان، فتمكن من السيطرة عليها بعد حصار دام سبعة أشهر و نصف، و سميت المعزية فيما بعد نسبة للمعز لدين الله[3].

لقد فتح هذا الفتح شهية المعز في استمرار توسعاته على هذا البلد فجهز جيشا جعل على قيادته الحسن بن عمار لفتح مدينة رمطة فحاصرها الجيش الفاطمي و ضيق على أهلها من الروم فاتصلوا بملك القسطنطينية الامبراطور بارسال الثاني، و طلبوا انجادهم بالعساكر فجهز لهم جيشا يزيد على أربعين ألف مقاتل و بعث به إليهم[4]، و أمام هذا أرسل أمير صقلية إلى الخليفة المعز يطلب إمداده بالعسكر، فحشد له الخليفة كل ما يمكن من الرجال و بعث بعضهم إلى والي صقلية و أرسل الآخر إلى المحاصرين لرمطة* التقى عسكر الروم بعسكر الفاطميين، فكان القتال على أشده و بعد مقتل قائد الروم ضعفت عزيمة جنده فكان الانتصار للفاطميين إذ غنموا من هذه المعركة السلاح و صنوف الخيل و الأموال ما لا يحد[5].

بعث المعز لدين الله أسطولا حربيا من صقلية لمهاجمة الدولة الأموية في الأندلس، و سبب ذلك أن تعرضت مركبة فاطمية للهجوم و السطو، من قبل أسطول الأمويين في الأندلس و كان هذا المركب يحمل رسولا من

---

(1)- عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 174.

(2)- ابن خلكان، المصدر السابق، ص، 402.

(3)- ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص، 61.

(4)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص، 214.

* رمطة: بفتح أوله و ثانيه و طاء مهملة، اسم أعجمي لقلعة بجزيرة صقلية بينهما ثمانية أيام و هي بعيدة من البحر فوق جبل و فيها آثار الماء. أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص، 68.

(5)- عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 175.

صاحب صقلية إلى المعز لدين الله فقام الأسطول الفاطمي بقيادة صاحب صقلية الحسن بن علي بالهجوم على شواطئ الأندلس سنة 344 هـ، فوصلت هذه الحملة إلى مدينة المرية و نصبتها و استولت على غنائم كثيرة و عدد كبير من الأسرى بعد أن عاثوا فيها فسادا ثم عادت الحملة إلى المهدية[1].

[1]- سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص، 97.

# الفصل الثالث

## الجيش الفاطمي في مصر و الشام

المبحث الأول: دور الجيش الفاطمي في انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر

المبحث الثاني: نشاط الجيش الفاطمي في الشام

المبحث الثالث: الجيش الفاطمي في الحملة الصليبية الأولى

المبحث الرابع: تفكك الجيش الفاطمي

## المبحث الأول: دور الجيش في انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر:

من خلال دراستنا للتاريخ نلاحظ أنه كلما قامت دولة فتية، كلما كانت لها رغبة جامحة في التوسع على حساب الدول الأخرى و هذا لا يقتصر على العصور الوسطى فقط و إنما منذ القدم.

### المطلب الأول: أهمية مصر:

رأى الفاطميون بعد أن امتد نفوذهم في بلاد المغرب أن هذه البلاد لا تصلح لتكون مركز لدولتهم: ففضلا عن ضعف مواردها، كان يسودها الاضطراب من حين لآخر[1]، لذلك اهتم الفاطميون بامتلاك مصر لما تمتاز به من موقع جغرافي فريد في قلب العالم العربي، يتيح لهم فرصة الاستيلاء على المراكز الإسلامية القديمة مثل مكة و المدينة و دمشق بل و بغداد نفسها حاضرة الدولة العباسية[2]، و بعدم قناعة الفاطميين ببلاد المغرب أخذوا في وضع الخطط لغزو مصر منذ عهد خليفتهم الأول عبيد الله المهدي[3]، فكانت حملات الفاطميين على حدود مصر الغربية و يلاحظ أن هذا الغزو يعتبر فريدا من نوعه لأن مصر كانت دائما تغزى من الشرق عن طريق غزة و رفح و الفرما و بلبيس و لم يسبق أن فتحت مصر من حدودها الغربية إلى في أيام الفراعنة حينما غزاها الليبيون قديما من منطقة الفيوم[4].

غير أن الخلافة العباسية لم تقف موقف المتفرج، إذ أنه بمجرد قيام الدولة الفاطمية في المغرب، عرف الخليفة العباسي المقتدر أن مصر معرضة للخطر الشيعي، لذلك ولى تكين على البلاد المصرية و أخذ يحذره من الفاطميين و يطلب منه الاحتراس من المغرب[5].

(1)– محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص: 59.
(2)– أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص: 247.
(3)– سيدة اسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص: 205.
(4)– أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص: 247.
(5)– محمد عبد الله جمال الدين، المرجع السابق، ص: 103.

تأكد لدينا أن هم الفاطميين موجه نحو العباسيين الذين كانوا أشد عداوة لهم من الأمويين و قاسوا على أيديهم الأمرين و لا سيما ان كان يخضع لهم الشرق مجال الإسلام بأممه الكثيرة فقد كان المهدي يرى أنه إذا استولى على المشرق فإنه لم يستولي على شيء يضاف إلى ذلك ضعف العباسيين و يتبين عزم الفاطميين و رغبتهم الأكيدة في سحق العباسيين من قول المهدي' لتملكن أنا وولدي ولد العباس و لتدوسن خيولي بطونهم"، ومن قول ولي عهده كذلك" و الله لا أزل حتى أملك صدر الطائر و رأسه إن قدرت و إلا أهلك دونه"[1]، و يقصد من ذلك الخلافة العباسية و أملاكها في المشرق[2] و قول القائم في الحقيقة هو رد على قصيدة للصولي شاعر بغداد*.

كما أن مصر كانت وافرة الثروات فيصفها ابن زولاق أنه فيها من أصناف البز و هي الثياب و الأواني و الفواكه و السلاح و الطعام و الشراب و جميع ما ينتفع به الناس و تدخره الملوك، و فيه تنس و بها ثياب الكتان البيض و المقصور و الشفاف و الأردية و أصناف المناديل و المناشف الفاخرة للأبدان، وبها ثياب النساء من الأصناف ما ليس في بلد إلا في مصر[3].

و ما شجع المعز الخليفة الفاطمي الرابع على فتح مصر هو استتباب الأمن في كافة أرجاء المغرب بعد اخماد ثورة أبي يزيد[4]، و انتشار الفوضى و الاضطراب في مصر إثر وفاة كافور الإخشيدي، و ضعف الخلافة العباسية و انشغالها بدفع البيزنطيين عن بلادهم[5].

---

[1]- عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها، ص: 87.

[2]- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1: المصدر السابق، ص، 36.

* حيث قال في بيت منها:

فلو كانت الدنيا مثالا لطائر لكان لكم منها بما حزتم الذنب

انظر المصدر نفسه، ص، 36.

[3]- الحسن بن ابراهيم بن الحسن بن زولاق، فضائل مصر و أخبارها و خواصها. تح، علي محمد عمر، مكتبة الأسرة، ص، 57.

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص، 25.

[5]- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص، 155.

لقد كانت أهمية مصر بالنسبة للفاطميين كبيرة فمن جهة تعتبر بوابة الفاطميين للسيطرة على المشرق و القضاء على الخلافة العباسية في عقر دارها، و من جهة أخرى غني مصر بما هو ملبوس و مأكول، و لهذا رأى الخلفاء الفاطميون أن مصر الدولة الوحيدة التي تستقر فيها دعوتهم و دولتهم.

**المطلب الثاني: حملات الجيش الفاطمي على مصر.**

بدأت حملات الجيش الفاطمي على مصر منذ عهد الخليفة الأول عبيد الله المهدي و استمرت هذه الحملات من بعده في عهد ابنه القائم غير أنها توقفت في عهد المنصور لانشغاله بضبط أمور المغرب، لتستمر من جديد في عهد المعز لدين الله.

**الحملة الأولى:**

أرسل عبيد المهدي ولده القائم إلى مصر في عساكر كتامة و أهل إفريقية[1] فسار من رقادة يوم الخميس لأربعة عشرة ليلة مضت من ذي الحجة و مر بطريقه على فاس، و وصل إلى طرابلس في محرم سنة 302هـ، و نهض إلى طرابلس فنزل سرت، و كتب إلى حباسة بن يوسف أن لا يبرح برقة حتى يأتيه: فلم يصبر حباسة بل رأى أن يتقدم و ربما أن يكون فتح مصر له و باسمه فسار يريد مصر، و بعدها استولى على الحنية ، التي خرج منها القائد العباسي أبو الدلفاء[2]، ليدخل حباسة بعدها الإسكندرية سنة 302هـ،[3] أما القائم وصل من سرت و دخل أجدابية ثم الإسكندرية أين اجتمع بحباسة و عسكره[4].

(1)– مؤلف مجهول، مفاخر البربر، المصدر السابق، ص، 173.
(2)– الداعي إدريس، المصدر السابق، ص، 194.
(3)– أبو جعفر جرير الطبري، تاريخ الطبري، مج13، تح، محمد بن الطاهر البرزنجي، مر، محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، ط1، 1428هـ-2007م، ص، 532.
(4)– فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 112.

و الملاحظ أن الفاطميين كان لهم في مصر أنصار و أعوان ، فلم يقتصر الأمر على الجواسيس من الإسماعيلية، و إنما شمل جماعة من السنة و القبط و سواهم، فكان أبو علي الداعي المقيم بمصر، يبذل جهودا جبارة في جذب أهالي هذه البلاد إلى الفاطميين و أنه قام بنفس الدور الذي لعبه الداعي في المغرب(1).

خرج القائم من الإسكندرية متوجها للفسطاط* و نزلت مقدمته جرف البلور و صح عنده كون تكين** أمير مصر بذات الساحل فنزل في ضفة النيل و بينه و بين عساكر القائم ستة أميال فحدث قتال بينهما، فجاءت جماعة من أهل مصر لطلب الأمان فأحسن القائم إليهم، فارتحل القائم إلى الفيوم و كان قد سبقه جماعة من عسكره فنهبوها و عندما وصل إليها قتلهم و سكت الناس(2).

التقى جيش القائم بأهل مصر فقتل و أسر و غرق خلقا كثيرا، فأرسل المقتدر الخليفة العباسي، مؤنسا في عسكر إلى مصر و أمده بالسلاح و الأموال(3) فالتقى بحباسة في جمادى الأولى فكانت بينهما حروب كثيرة قتل فيها من الفريقين جمع عظيم و انهزم حباسة في سلخ جمادى الأخرة و يقول المقريزي أنه قتل في هذه الحرب حوالي سبعة آلاف(4).

---

(1)– حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص، 173.

* الفسطاط: مدينة الفسطاط هي مصر سميت بذلك لأن مصر ابن حام بن نوح بناها في الأول و كانت مدينة مصر اولا عين شمس فلما نزل عمر بن العاص و المسلمون معه في صدر الإسلام و افتتحها و عمرها، المسلمون مكان مصر الآن. انظر، الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص، 121.

** تكين: مولى المعتصم بالله نشأ في دولته حتى صار من جملة القواد ثم ولاه المقتدر دمشق و مصر و أقره عليها القاهر و كان تكين جبارا مهيبا. انظر، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج3، ص، 191.

(2)– الداعي إدريس، المصدر السابق، ص، 196.

(3)– الطبري، المصدر السابق، ص، 532.

(4)– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص، 36.

لقد كانت هذه الحملة متزامنة مع هجوم القرامطة بقيادة أبي سعيد الجنابي[1] على البصرة سنة 300هـ/912م[2]، حيث يعتبر كل من حسن ابراهيم حسن و طه شرف أن هذا الهجوم القرمطي على البصرة كان لإيقاع الارتباك في صفوف العباسيين إلا أن حملة القرامطة كانت ضعيفة فلم تحدث الأثر المرجو منها و الدليل على قولهما هو قدرة القائد العباسي مؤنس الخادم من تحطيم جيوش الفاطميين[3]، في حين يعتبر فرهاد دفتري أن الهجوم القرمطي على البصرة كان بتحريض من عبيد الله[4]؛ الحملة الأولى للجيش الفاطمي فاشلة و لم تستطع السيطرة على مصر إلا بعض المناطق.

**الحملة الثانية:**

قضى عبيد الله ستة سنوات في تنظيم أموره في الداخل و إعداد جيش يفتح به مصر و قد أخذ في الوقت نفسه يعمل على تنظيم شؤون أنصاره في الخارج و لا سيما من كان منهم باليمن و البحرين فدخل في شؤون اليمن و عزل ابن حوشب، لم يمت عبيد الله حتى كانت الدعوة التي بدأها ابن حوشب في بلاد اليمن قد زالت أو كادت؛ خاصة بعد أن رأى ابن فضل يحارب ابن حوشب و يثور على الفاطميين، فتدخل المهدي في شؤون القرامطة و حملهم على اشعال نار الثورة على الوالي الجديد، و عين أبو طاهر مكانه بعد أن أخذ عليه العهود بأن يكون طوع الفاطميين، فقام أبو طاهر بهجوم عنيف على البصرة و حاول الاتصال بالجيش الفاطمي في مصر حتى خيل للمهدي أن الأمور في المشرق قد مهدت له و أن أنصاره القرامطة لا يخذلونه اليوم كما خذلوه بالأمس[5].

---

(1)- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 214.

(2)- فرهاد دفتري، الإسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم و فكرهم، تر: سيف الدين القصير، منشورات المدى، ط1، 1999م، ص، 43.

(3)- حسن ابراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص: 173.

(4)- فرهاد دفتري، المرجع السابق، ص: 43.

(5)- حسن ابراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص، 174.

لكن ميكال يان دي خويه، لا يجد و لا حتى محاولة قام بها القرامطة لإرسال قواتهم إلى مصر و دليله على ذلك أن ما قام به القرامطة لا يقتصر إلا على عمليات نهب قام بها أبي طاهر سنة 307هـ[1]

خرج القائم من رقادة يوم الاثنين أول ذي القعدة متوجها إلى الإسكندرية على رأس جيش كثير العدة و العدد و لما وصلت مقدمة الجيش بقيادة سليمان بن كافي إلى لوبية و مراقية[2]، و كان ذلك سنة 307هـ[3].

عندما وصل إلى الإسكندرية لاذ أهلها بالفرار حين تملكهم الخوف فدخل سليمان الإسكندرية بلا قتال في التاسع صفر من نفس السنة في حين استولى الفزع على مدينة الفسطاط التي خرج منها عدد كبير من الجنود و سعى ذلك عامل مصر و الحسين بن أحمد الماذرئي، صاحب الخرج الى انتداب جنود أقوياء و عن الجيزة، حين تم دعم قلعة الجسر الغربي[4]، و حفر خندقا ثانيا بعد ذلك بقليل توفي ذكاء في معسكره بالجيزة إثر وصول امدادات، و في هذه الأثناء توقف القائم في الإسكندرية قبل الزحف على الفسطاط و ذلك لتجميع كافة قواته و انتظار الأسطول الفاطمي القادم للنجدة بقيادة سليمان الخادم[5]، و اكتفى بتوجيه طليعة من الجيش بقيادة سليمان بن كافي. فاستولت على الفيوم و الأشمونين و نهبتها[6]، و لا شك أن القائم كان ينوي الحصول على منفعة مزدوجة من هذه العملية التي يبدو أنه قد قادها هو بنفسه، إذ قام بتوفير حاجات جنده على حساب العدو و ثانيا و على وجه الخصوص حرمان الفسطاط من الامدادات الواردة من الجنوب عن طريق النيل و ضرب الحصار على المدينة[7]، و لكن الأحداث تجري بصورة مغايرة عما توقعه القائم حين كان رد فعل العباسيين سريعا

---

(1)- ميكال يان دي خويه، القرامطة: نشأتهم ، دولتهم و علاقاتهم بالفاطميين. تر، حسين زينة، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1978م، ص .73

(2)- محمد عبد الله جمال الدين، المرجع السابق، ص، 109.

(3)- ميكال يان دي خويه، المرجع السابق، ص، 218.

(4)- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 218.

(5)- عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها. المرجع السابق، ، ص، 88.

(6)- ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج3، ص، 226.

(7)- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 218.

و قويا فقدمت لنجدة أهل مصر مراكب طرسوس بقيادة ثمل الخادم و التقت بالأسطول في عرض سواحل رشيد و أحرز ثمل انتصارا باهرا و قد ساعدهم على ذلك ريح هوائية أغرقت عددا كبيرا من سفن العدو[1]، فظفر أصحاب مراكب المقتدر و أحرقوا كثيرا من مراكب افريقية و هلك أكثر أهلها و أسر منهم كثيرا سليمان الخادم الذي توفي في السجن بمصر[2].

أدركت الخلافة العباسية خطورة الوضع لذا أرسلت قوة عسكرية جديدة قوامها ثلاثة آلاف جندي جعلت عليها مؤنس الخادم جاءت إلى البلاد المصرية[3]، و حفرت خندقا ثالثا في الجيزة، فوجد القائد العباسي طريقة لاكتساب النصر وهي ترضية الجند ،فأغدق عليهم الأموال حتى طابت نفوسهم و كثر جمعه و ارتفعت معنويات أصحابه، و كان الجيش الفاطمي قد تفرق في نواحي الصعيد و الوجه البحري فقرر العباسيون الاستفادة من هذا التفرق و وضعوا خطتهم على أساس حرب عدوهم في جبهات متعددة و قسموا أنفسهم إلى مجموعات باغتت الفاطميين و أخذتهم على حين غرة[4]، فقتلوا عدد اكبيرا من العساكر الفاطميين، و ما ساعدهم على انتصارهم تعرض الجند الفاطمي لوباء فتك بعدد كبير من الجند، مما جعل القائم يعود إلى افريقية ثانية منهزما سنة 309هـ[5]، وفيها لقب المؤنس بالمظفر لانتصاره[6].

**الحملة الثالثة:**

جد من الأحداث في بلاد المشرق ما دعى عبيد الله توجيه نشاطه إلى مصر من جديد، فقد قتل الخليفة المقتدر و أقسم قواد الأتراك في بغداد على أنفسهم بسبب ذلك، و وجد المهدي في ذلك فرصة سانحة لمد نفوذه

---

(1)- المرجع نفسه، ص، 219.

(2)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص، 42.

(3)- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص، 152.

(4)- محمد عبد الله جمال الدين، المرجع السابق، ص، 110.

(5)- المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص، 37..

(6)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص، 43.

شرقا[1]، فبعث عبيد الله المهدي حملة عسكرية إلى مصر سنة 321هـ، و التقى جند مصر بالجند الفاطمي بين سنتي 321هـ-322هـ، و بينما كانت الحرب سجالا بين جنود مصر و جنود الفاطميين، مات عبيد الله في ربيع الأول سنة 322هـ، غير أن القائم لم يصرح بموته إلا بعد سنة أي بعد أن استقرت أموره في بلاد المغرب، فأرسل جيوشه إلى مصر أواخر سنة 323هـ، فبلغتها في أوائل سنة 324هـ، و استولت على الإسكندرية[2]، غير أن مهارة الوالي الجديد محمد بن طغج الإخشيدي حالت دون تحقيق الفاطميين هدفهم، بعد أن تهيأ لقتالهم و جمع العساكر و جهز الجيوش إلى الإسكندرية و الصعيد[3].

**الحملة الرابعة:**

بعد وفاة كافور* ترك مصر في حالة يرثى لها من الفوضى و الاضطرابات و كان المذهب الفاطمي في هذه البلاد قد بدأ ينمو بين عدد كبير من المصريين، في حين بلغت الدولة العباسية في ذلك الوقت درجة كبيرة من الضعف و الانحلال فقد سادها الاضطراب و الفوضى و انتقضت أطرافها، و غدا الخليفة العباسي أشبه بالعوبة في أيدي بني بويه[4].

أما مصر فقد انخرم نظامها بعد موت كافور الإخشيدي ،ولما قام على مصر أحمد بن علي بن الإخشيد و هو صغير صار ينوب عنه عم أبيه الحسن بن عبيد الله بن طغج و الوزير يومئذ جعفر بن الفرات فقلت الأموال

---

[1]- حسن ابراهيم حسن، طه شرف، المرجع السابق، ص، 182.

[2]- فرهاد دفتري، المرجع السابق، ص، 48.

[3]- ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج3، ص، 289.

* كافور: هو أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي الخادم الأسود الخصي، صاحب مصر و الشام و الثغور، اشتراه سيده أبو بكر محمد الإخشيدي بثمانية عشر دينارا من الزياتين و قبل بعض رؤساء مصر و رباه و أعتقه ثم رقاه حتى جعله من كبار القواد لما رأى منه الحزم و العقل و حسن التدبير و لما مات الإخشيد سنة 335هـ، أقام كافور عند ابنيه واحدا بعد واحد. انظر، ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج4، ص، 04.

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص، 23.

على الجند[1] بالإضافة إلى ذلك تميزت مصر بالغلاء الشديد مما زاد في تدهور الأوضاع أكثر مما كانت عليه[2].

كتب جماعة من أهل مصر إلى المعز لدين الله و هو بالمغرب يطلبون منه عسكرا ليسلموا إليه مصر[3]، إذ قالوا له:" بأنك تجيئ مصر قبل أن يملكها بنوا العباس"[4].

سار جوهر غلام المعز إلى مصر في جيش ،وصل إلى الديار المصرية يوم الثلاثاء السابع عشر من رمضان سنة 358هـ، و طبوله تضرب و أعلامه تخفق و حمول المال بين يديه و هو ألف و خمسمائة صندوق فنزل موضع القاهرة، و استولى عليها بغير قتال[5]فهرب أصحاب كافور و أخذ جوهر مصر بلا ضرب ولا طعن، فخطب للمعز يوم الجمعة على منابر الديار المصرية و سائر أعمالها و أرسل يبشر المعز بفتح مصر و إقامة الدعوة له بها و طلبه إليها ففرح بذلك فرحا شديدا[6]، غير أن ابن أيبك يعتبر أن جوهر لم يدخل دون قتال و إنما لقي الإخشيديين و دارت بينهم حرب كان فيها النصر حليفا لجوهر[7].

## المطلب الثالث: اتخاذ القاهرة قاعدة عسكرية:

لم يلبث القائد جوهر في مصر إلا ساعات قليلة حتى اختط القصر و حفر أساسه في أول ليلة من نزوله القاهرة و أدخل فيه دير العظام و هو المكان المعروف الآن بالركن المخلق قبالة حوض جامع الأحمر قريب من بئر

---

[1]- ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج4، ص: 31.

[2]- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، تح: محمد مصطفى، دار إحياء المكتبة العربية، القاهرة، 1395هـ، 1975م، ص، 184.

[3]- ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج4، ص: 91.

[4]- ابن إياس، المصدر السابق، ص، 184.

[5]- بدر الدين العيني (ت،855هـ):السيف المهند في سيرة الملك المؤيد)، تح، فهيم محمد علوي شلتوت، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998، ص، 150.

[6]- عبد الله شرقاوي، تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك و السلاطين. تح، رحاب عبد الحميد القاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1416هـ-1996م، ص، 83.

[7]- ابن أيبك، المصدر السابق، ص، 120.

العظام و المصريون يسمونها بئر العظمة[1] و يقال أنها عظام جماعة من الحواريين و بني مكان الدير مسجدا داخل القصر[2].

غير أن ابن إياس يذكر أن جوهر عندما دخل مصر لم تعجبه مدينة الفسطاط فشرع في بناء القاهرة، و لما أراد البناء جمع الفلكية و أمرهم بأن يختاروا له طالعا سعيدا، حتى يضع فيه أساس المدينة فجعل على كل جهة من أساس المدينة، قوائم من الخشب و بين كل قائمتين منها حبلا، و فيه أجراس من نحاس ثم وقف الفكية ينظرون دخول الساعة الجيدة و الطالع السعيد، حتى يضعوا فيه الأساس و كان لهم إشارة مع البنائين ؛ أنهم إذا حركوا لهم تلك الحبال التي فيها الأجراس فيلقوا ما بأيديهم من الحجارة إذا سمعوا حس الأجراس[3].

بينما هم منتظرون ساعة الطالع الجيد فقدر الله أن طائرا حرك تلك الأجراس فألقوا ما بأيديهم من الحجارة في أساس البئر، فصاح عليهم الفلكية القاهر في الطالع، يعنون به المريخ وهو اسمه عندهم القاهر، فقضي الأمر و خلفهم ما قصدوا له من الطالع السعيد و كان بناء سور القاهرة سنة 359هـ، وكان الأمر كذلك ثم بني الجامع الأزهر[4]، و لما دخل المعز لمصر لم يعجبه ما بناه جوهر القائد[5]، و قال له: " فاتك بناء القاهرة على النيل...فهلا كنت تبنيها على الجرف من منطقة الرصد"، و له كل الحق لأن منطقة الرصد منطقة جميلة تشرف

---

(1)- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص، 35.

(2)- ابن أيبك، المصدر السابق، ص، 140.

(3)- ابن إياس، المصدر السابق، ص، 185.

(4)- عبد الله الشرقاوي، المرجع السابق، ص، 84.

(5)- حسن عبد الوهاب، تخطيط القاهرة و تنظيمها منذ نشأتها، مطابع دار النشر للجامعة المصرية، القاهرة، 1957م، ص، 03.

على النيل و الجبل و بركة الحبش[1].

حينما نزل جوهر في المنطقة التي أخذت اسم القاهرة، اختطت كل قبيلة من القبائل المكونة للجيش حارة عرفت بها و أقامت فيها و نسبت إليها[2].

**حارة زويلة:** فأول من اختط أهل زويلة و هي إحدى حارات القاهرة الكبرى و قد أخذت هذا الاسم لأن القائد جوهر لما اختط المدينة الجديدة أنزل أهل زويلة بهذا المكان فسمي باسمهم و هذه الحارة من أكبر معسكرات القاهرة[3] و موضعها اليوم المنطقة التي تحد من الشمال بشارع الخرنفش و من الغرب بشارع زويلة و درب الكتاب و من الجنوب بشارع الصقالبة و من الشرق بحارة اليهود و حارة خميس و يتخللها عدة شوارع و حارات كذلك بابان معروفان ببابي زويلة[4].

**حارة الباطلية:** تأسست هذه الحارة أيام الخليفة المعز لدين الله، و نسبت إلى طائفة يقال لها الباطلية و سبب تسميتها بهذا الاسم هو أن الخليفة المعز لما حظر إلى القاهرة و قسم العطاء في الناس جاء هؤلاء يطلبون عطاءا فقيل لهم فرغ ما كان حاضرا فقالوا "والحق باطل" فسموا الباطلية و سكنوا هذه الحارة فعرفت بهم، غير أن ابن أيبك يذكر أن هؤلاء قوم يعرفون بالباطنية و كانوا شديدي التشيع و يقتلون بالسكين و يقولون في حب علي و بنيه، و كان لهم أرزاق نسبة على الخلفاء الفاطميين ثم لما صار طال العهد قيل الباطلية فقلبت النون لاما[5].

---

[1]- المرجع نفسه، ص، 03.

[2]- عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 193.

[3]- علي مبارك، المرجع السابق، ج1، ص، 7.

[4]- ابن أيبك، المصدر السابق، ص، 140.

[5]- عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 199.

**حارة الروم:** اختط هذه الحارة الروم الذين وصلوا صحبة القائد جوهر عند بنائه القاهرة فنسبت إليهم و كان للروم حارتان حارة الروم البرانية و حارة الروم الجوانية بقرب باب النهر[1]، و هي منسوبة للأشراف[2] الجوانيين و منهم الشريف النسابة الجواني، و قد استثقلت الألسنة التعبير بالبرانية و الجوانية فاختصروا التسمية إلى حارة الروم و حارة الجوانية[3].

**حارة كتامة:** معروف عن قبيلة كتامة أنها القبيلة التي ناصرت الفاطميين و أقامت دولتهم في بلاد المغرب و شكلوا نواة الجيش الفاطمي[4] فكان من الطبيعي قدوم بعض الكتاميين مع جوهر ضمن الجيش الذي فتح به مصر، و أقام الكتاميون الذين قدموا مع جوهر و المعز منازلهم في موضع هذه الحارة، فاستمدت اسمها منهم و كانت تجاور حارة الباطلية و تقع بينها و بين حارة البرقية[5].

**حارة البرقية:** تنسب هذه الحارة إلى إحدى طوائف العسكر الفاطمي التي وفدت إلى مصر مع الخليفة المعز لدين الله، و طائفة البرقية هذه جماعة كبيرة من أهل برقة[6]، و موضع هذه الحارة اليوم في المنطقة التي يخترقها شارع الدراسة و ينبغي الإشارة إلى أن طائفة البرقية هذه غير الطائفة التي حملت نفس الاسم أواخر الدولة الفاطمية في أيام الوزير الصالح طلائع بن رزيك[7].

**حارة الحمزيين:** من بين العسكر الذي جاء مع جيش جوهر، إذ ينسب أفرادها إلى قرية يقال لها حمزة من البلاد الإفريقية و أغلب الظن أن أهلها نزلوا في تلك الحارة و أقاموا بها فنسبت إليهم.[8]

(1)- ابن أيبك، المصدر السابق، ص، 141.
(2)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص، 36.
(3)- ابن أيبك، المصدر السابق، ص، 141.
(4)- عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 200.
(5)- ابن أيبك، المصدر السابق، ص، 140.
(6)- المقريزي، المواعظ و الاعتبار، ج1، المصدر السابق، ص، 361.
(7)- علي مبارك، المرجع السابق، ص، 7.
(8)- عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 202.

**حارة الديلم:** أخذت تلك لحارة ذلك الاسم لأنها كانت موطن لعساكر الديالمة الذين و فدوا إلى مصر مع الفتكين التركي عندما حضر إلى بلاد مصر على رأس جماعة الأتراك و لديالمة سنة 368هـ[1].

**حارة برجوان:** تنسب هذه الحارة إلى الأستاذ أبو الفتوح البرجوان الخادم وزير الفاطميين على عهد الحاكم[2] و كان برجوان هذا واحد من الخصيان الذين تربوا في دار الخليفة العزيز بالله و كان خادما في القصور أيام العزيز جعل ولده الحاكم في حجره فتمكن و كثرت أمواله فنزل هذه الحارة فعرفت به[3].

**حارة الجوذرية:** كانت الجوذرية جماعة من العسكر الفاطمي اختطوا هذه الحارة في المنطقة التي يخترقها اليوم شارع الجوذرية و فروعه و حارة الجوذرية الكبيرة و الصغيرة و عطفة الجوذرية و كان عدد هذه الطائفة أربعمائة سكنوا هذه الحارة فعرفت بهم[4].

و يغلب الظن أن هذا العسكر يرجع وجوده إلى عهد جوهر ذلك لأن طائفة الجوذرية تنسب إلى جوذر الذي خدم عبيد الله ومن بعده من الخلفاء في بلاد المغرب و سميت هذه الطائفة نسبة إليه لما كان له من مكانة مميزة لدى الخلفاء الفاطميين[5].

بالإضافة إلى هذه الحارات كانت هناك عدة حارات قد اختطت في القاهرة لتكون منزلا للجيش الفاطمي و قاعدة أثناء الحاجة إليه منها حارة المصامدة، و حارة المحمودية، و الحارة الوزيرية و هي إحدى حارات العسكر

(1)- ابن أيبك، المصدر السابق، ص، 141.
(2)- عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 207.
(3)- ابن أيبك، المصدر السابق، ص، 142.
(4)- عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص، 216.
(5)- سيرة جوذر، المصدر السابق، ص، 1.

الفاطمي الكبرى، كذلك حارة اليانسية و اليانسية طائفة من طوائف الجيش الفاطمي ينسبون إلى أحد خدام الخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله و المسمى أبي حسن يانس الصقلي[1].

لقد كان هدف جوهر من بناء القاهرة هو أن يجعلها حصنا فيما بين القرامطة و بين مصر ليقاتلهم من دونها لذلك أحاطها بسور و أنزل فيه العساكر و أنشأ من داخل السور جامعا و قصرا و أعدها معقلا يتحصن فيه و تنزله عساكره[2]، و احتفر خندقا من الجهة الشمالية لمنع أي هجوم من قبل القرامطة أو غيرهم على القاهرة و ما وراءها من المدينة[3].

(1)- عبد الله محمد جمال الدين: المرجع السابق، ص، 202.

(2)- المقريزي: المواعظ و الاعتبار، ج1، المصدر السابق، ص، 361.

(3)- المصدر نفسه، ص، 361.

## المبحث الثاني: نشاط الجيش الفاطمي في الشام.

من الطبيعي أن توجه الدولة الفاطمية أنظارها لمنطقة الشام و ذلك من أجل تضييق الخناق على الدولة العباسية من جهة و من جهة أخرى حماية لحدودها من أي إغارة.

### المطلب الأول: فتح الشام ( 358هـ/968م):

كانت بلاد الشام في ذلك الوقت تابعة للدولة الإخشيدية، ولم يجهل الإخشيديين ما كانت ترمي إليه السياسة الفاطمية من الاستيلاء على بلاد الشام و فلسطين و الحجاز، لذلك أعد الحسن ابن عبيد الله بن طغج الإخشيدي والي الرملة و دمشق العدة لملاقاة الفاطميين فاستخلف شمولا الإخشيدي على دمشق، فسار هو إلى الرملة على أن شمولا الإخشيدي لم يخلص للحسن و كاتب جوهر يدعوه للحضور إلى دمشق[1].

في هذه الأثناء كانت قد استقرت الأمور لجوهر بمصر[2]، فسير جمعا كثيرا من العساكر مع جعفر بن فلاح إلى الشام فبلغ الرملة[3] و بها الحسن بن عبيد الله بن طغج و جرت بينهما حرب أسر عقيبها ابن طغج و استولى جعفر على فلسطين و جبا أموالها ثم سار إلى طبرية فوجد أهلها قد أقاموا الدعوة للمعز قبل وصوله[4] فجهز منها من استمال من بني مرة و فزاوة لحرب بني عقيل بحوران و أردفهم بعسكر من أصحابه فواقعوا بني عقيل و هزموهم إلى أرض حمص و سار هو من طبرية[5]، إلى دمشق فقاتله أهلها فظفر بهم و ملك المدينة و نهب بعضها و أقام الخطبة للمعز لدين الله العلوي و قطع الخطبة العباسية و كان ذلك في محرم 359هـ[6].

---

(1)– حسن علي حسن، المرجع السابق، ص، 39.

(2)– ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص، 61.

(3)– نعمان قساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، دار الرائد الوطني، بيروت، ط1، 1291هـ–1879م، ص، 40.

(4)– مؤلف مجهول: المعز لدين الله. المرجع السابق، ص، 8.

(5)– محمد كرد علي، خطط الشام. ج1، دمشق، 1343هـ– 1925م، ص، 225.

(6)– نعمان قسطالي، المرجع السابق، ص، 40.

ولما رأى أهل دمشق هزيمة جندهم و أنه لا قبل لهم بالفاطميين خرج بعض من ذوي أهل الرأي و الجاه منم لمقابلة جعفر و طلبوا إليه العمل على إصلاح حال مدينتهم و إعادتها إلى ما كانت عليه فقبض عليهم بعض المغاربة و سلبوهم ثيابهم و جرحوا كثيرا منهم فأثار هذا سخط أهل دمشق فشقوا عصا الطاعة و أذكوا نار الفتنة[1]، و كان في البلد رجل جليل القدر اسمه الشريف ابو القاسم بن ابي يعلي الهاشمي[2]، و هو رجل له نظر في المدينة، فجمع أحداث البلد و كل من يجنح للفتنة ثم اتفقوا على أمر يستوفه جعفر ذلك أنه في يوم الجمعة التالية سار إلى الجامع و أبطل الخطبة للمعز لدين الله و أعاد الخطبة باسم الخليفة العباسي ثم لبس السواد علامة الحزن و عاد إلى بيته[3].

و لما وصلت هذه الأنباء لجعفر أمر بقتاله هو ومن معه فالتحم الفريقان في ملحمة حامية، أظهر فيها أهل دمشق شجاعة و صبرا على القتال حتى آخر النهار، و لما كان الغد تزاحف الفريقان و استأنفوا القتال فكثر القتال في الفريقين غير أن جنود جعفر تغلبت على أهل دمشق فانهزموا بين أيديهم حتى وصلوا إلى أبواب دمشق حيث التقوا بالشريف ابن أبي يعلي، و كان يحرض أهل دمشق على القتال و يأمرهم بلا صبر على جنود المغاربة[4].

عرض ابن يعلي على أهل الشام طلب الأمان من جعفر بعد تأكده من عدم قدرة أهل دمشق على مجابهة جنود جيش جعفر فكان ذلك، غير أن جند جعفر عاثوا في البلاد فسادا و قتلوا كثيرا من أهلها[5]، دخول جعفر للمدينة حال دون حرب أخرى بين الطرفين، فدخل و صلى مع الناس و سكنهم و طيب خواطرهم و طمأن قلوبهم، و ألقى القبض على جماعة من الأحداث الذين عزيت إليهم الفتن، و في محرم قبض على

---

(1)- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 41.

(2)- مؤلف مجهول، المعز لدين الله. المرجع السابق، ص: 9.

(3)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص: 61.

(4)- مؤلف مجهول، المعز لدين الله. المرجع السابق، ص: 9.

(5)- المرجع نفسه، ص: 14.

الشريف بن يعلي الهاشمي ووصل إلى سمعه كل ما فعل[1] ثم أخذه و شده على جمل، و فوق رأسه قلنسوة و في لحيته ريش و بيده قصبة و بعث به إلى مصر: و يذكر ابن كثير أن جعفر قام بقتل بعض من كان مع أبي يعلي و صلب جثثهم و علق رؤوسهم على الأبواب[2].

في سنة 360هـ، أنفذ جعفر غلامه فتوحا على عسكر إلى انطاكية و كان لها في أيدي الروم نحو من ثلاث سنين و سير إلى أعمال دمشق و طبرية و فلسطين فجمع منها الرجال و بعث عسكرا بعد عسكر إلى أنطاكية و كان الوقت شتاء فنازلوها حتى انصرم الشتاء و هم ملحون في القتال فلم يظفر بطائل و انهزم عسكره آخر الأمر و قتل منهم كثيرون[3].

**المطلب الثاني: الحرب مع القرامطة(360هـ/971م):**

لما علم القرامطة استيلاء المغاربة على الشام و أخذهم ابن طغج فانزعجوا من ذلك لما لاستفادتهم من المال الذي كان قد قرره ابن طغج لهم و هو في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، فبعثوا إلى عز الدولة بختيار يطلبون المساعدة على المغاربة بالمال و الرجال، فاستقر أن عز الدولة أعطاهم ألف درهم و ألف جوشن و ألف سيف و ألف رمح و ألف قوس و ألف جعبة[4]، و بلغ جعفر بن فلاح خبرهم فاستهان بأمرهم ثم لم يشعر بهم حتى كبسوه بدمشق[5].

سار الحسن القرمطي الملقب بالأعصم إلى الدكة[6] حيث اشتبك و جعفر فاستهان به جعفر، لكن جنده لم تلبث أن تخاذلت عنه و انفضت من حوله فهزم ثم أسر و قتل هو و كثير من أتباعه سنة 360هـ، و قد عثر

---

(1)- محمد كرد علي، المرجع السابق، ص، 226.

(2)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص، 233.

(3)- محمد كرد علي، المرجع السابق، ص، 226.

(4)- أبو يعلي حمزة ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ص، 6.

(5)- نعمان قسطالي، المرجع السابق، ص، 40.

(6)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص، 63.

محمد بن عصودا على جثته خارج دمشق فقطع رأسه و صلبه على حائط داره انتقاما لأخيه إسحاق الذي قتله جعفر و صلبه[1]، و بذلك انتهت حياة القائد الذي نشر سلطان الفاطميين في الشام و انتزعها من يد الإخشيديين و أذل زعماء الثورة في الشام[2].

سار القرامطة يريدون الرملة و عليها بن حيان، فالتجأ إلى يافا و نزل عليه القرمطي، و قد اجتمعت عليه عرب الشام فناصبها القتال حتى أكل أهل المدينة الميتة و هلك أكثرهم جوعا، فسار جوهر من مصر بجنده إلى أصحابه المحصورين بيافا خمسة عشر مركبا، فأرسل القرامطة بدورهم مراكبهم إليها، فأخذو مراكب جوهر، و لم ينجح منها غير مركبين غنمتهما مراكب الروم[3].

قام مولى سيف الدولة بن حمدان متولي حلب قرعويه و خطب للمعز الفاطمي بحلب و حمص[4]، بمعنى أن بني حمدان و هم شيعة أسرعوا في خلع الطاعة للعباسيين و أعلنوا طاعتهم للفاطميين أبناء مذهبهم، غير أن هذا لم يكن كافيا و لم يجد الفاطميون نصيرا قويا في الشام لأن السواد الأعظم من أهل السنة و الجماعة كانوا يخالفونهم في مذهبهم[5].

و في سنة 361هـ وصل القرامطة نحو مصر فتغلب عليهم المعز لدين الله فرحلوا عن الشام، فأرسل المعز القائد ظالم بن موهوب العقيلي واليا عليها[6]، فوصل ظالم في شهر رمضان سنة 363هـ، فقويت شوكته و عظم أمره عندما قبض على أبي المنجا وولده صاحبي القرمطي، و اتفق أن تقدم أبو محمود مقدم العسكر الفاطمي دمشق في الأيام الأخيرة من شهر رمضان من نفس السنة، فخرج ظالم متلقيا له، و مبتهجا بقدومه، لأن ظالم

(1)- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص، 44.
(2)- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص، 393.
(3)- محمد كرد علي، المرجع السابق، ص، 225.
(4)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص، 238.
(5)- محمد كرد علي، المرجع السابق، ص، 225.
(6)- نعمان قسطالي، المرجع السابق، ص، 41.

كان خائفا من عودة القرامطة إلى دمشق، فكان يهمه وجود حامية عسكرية في دمشق، و لما نزل القائد أبو محمود على دمشق و معه عسكره، اضطرب الناس و قلقوا و امتدت أيدي جند الفاطميين في العبث و الفساد في نواحي البلد[1].

سئم أهل دمشق من تطاول الجند الفاطمي عليهم فحدثت فتنة في دمشق بين أهلها و الجند الفاطمي و يذكر ابن القلانسي عن هذه الفتنة أن أهل دمشق قد خرجوا بالسلاح التام و عدد الحرب و آلاتها و خرج قوم بمثل الحربة و عصا و فاس و كسا و مقلاع و جمر عليها حجارة، اشتد القتال فنزل القائد أبو محمود في عسكره فضرب في الميدان و أصبح الناس في شدة عظيمة[2].

غير أن الأمور آلت إلى الصلح و الموادعة بين أهل دمشق و القائد أبو محمود مقدم الجيش الفاطمي و خمدت بذلك نار هذه الفتنة التي و إن لم يتمكن القائد من إخمادها ،استغل القرامطة هذه الفرصة و هجموا على دمشق و اعتمد بعد ذلك أبو محمود على ابن أخيه جيش بن الصمصامة في ولاية دمشق و حمايتها غير أن أهل دمشق ثاروا عليه فما كان على الخليفة الفاطمي سوى تجديد ولاية ريان الخادم على دمشق بعد هذه الفتنة سنة 363هـ[3].

### المطلب الثالث: الحرب مع أفتكين(365هـ/976م):

كان أبو منصور أفتكين التركي غلاما لمعز الدولة أحمد بن بويه، و لم يزل يترقى حتى عظم شأنه في بغداد و غلب على عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه[4]، فلما سار الأتراك من بغداد لقتال الديلم اشتهروا

---

(1)- ابن القلانسي: المصدر السابق، ص، 5.
(2)- المصدر نفسه، ص: 7.
(3)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص: 254،253.
(4)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص: 65.

بالشجاعة و الإقدام إلا أن أصحابه انفضوا من حوله و تركوه و لم يبقى معه سوى طائفة قليلة العدد فسار إلى الرخية نحو أربعمائة رجل فخشيته العرب[1].

غادر أفتكين بغداد يريد دمشق و لإقامة الخطبة للخليفة العباسي، فأرسل إليه والي دمشق جيشا سار نحو حوشبة لمقاتلة أفتكين الذي أمده أبو المعالي بن حمدان بجيش كبير، فلما رأى ظالم أنه لا قبل له بمنازلته عاد إلى بعلبك و سار أفتكين إلى حمص فتلقاه أبو المعالي بالقبول و الكرم[2].

ثار في هذه الأثناء بدمشق جماعة بزعامة ابن الماورد و حاربوا الولاة و اشتد خطرهم و لما بلغهم خبر خروج أفتكين بعثوا إليه بحمص يدعونه و يعدونه بإذكاء نار الثورة و أن يكونوا معه على جند المعز و عونا له على إخراجهم من دمشق ليصبح هو واليا عليها، فأهل الشام لطالما كرهوا المغاربة لمخالفة مذهبهم و سوء سياستهم القائمة على الفساد[3].

لما هلك المعز لدين الله الفاطمي ، تولى ابنه العزيز سنة 365هـ، فقصد أفتكين المستولي على دمشق سواحل الشام و عمد إلى صيدا فحصرها و بها رؤوس المغاربة و ظالم بن موهوب العقيلي فقاتلهم و كانوا في كثرة؛ فطمعوا فيه و خرجوا إليه فاستجرهم ثم عاد عليهم فقتل منهم نحو أربعة آلاف قتيل و طمع في عكا فتوجه إليها و قصد طبرية ففعل فيها من القتل و النهب مثل صيدا و عاد إلى دمشق[4].

---

(1)- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص، 46.

(2)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص: 260.

(3)- ابن أيبك، المصدر السابق، ص، 166. ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص، 260. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص، 65.

(4)- محمد كرد علي، المرجع السابق، ص، 231.

صادف أن أنزل الروم بقيادة الشمشقيق على حمص و افتتحها و انتقل عنها إلى بعلبك و ملكها و أراد قصد دمشق، فأدرك أهل دمشق و أفتكين قوة الروم و أنهم لا يستطيعون مقاومتهم، فأعلنوا طاعتهم ورحل الروم عن دمشق مقابل مبلغ مالي يدفعه أهلها[1].

و في ذلك الحين ظهر القرامطة على مسرح السياسة للمرة الثانية ضد الفاطميين الذين استدعاهم أفتكين من الأحساء لمعاونته على قتال الفاطميين فقدموا دمشق سنة 365هـ، و معهم كثير من أعوان أفتكين الذين اجتمعوا على إخراج الفاطميين من البلاد[2].

هاجم القرامطة و أفتكين يافا ثم واصل أفتكين سيره على ساحل البحر الأبيض المتوسط حتى وصل إلى صيدا و كان بها ظالم فالتقى الفريقان و اقتتلا قتالا شديدا، و قتل من الفريقين نحو أربعة آلاف رجل، غير أن القتال انتهى بهزيمة ظالم ووالي صيدا، فرجع ظالم إلى صور، و قد استقر أفتكين في عكا[3].

و قبل هذا كان العزيز قد أرسل قائده جوهر في العساكر إلى الشام لذلك تحالف أفتكين مع القرامطة، و لما تأكد جوهر أنه لم يعمل بحيلة فإنه لن يتمكن من القضاء على القرامطة و أفتكين، فراسل أفتكين سرا و سأله القرب منه و الاجتماع معه ففعل ذلك أفتكين ووقفا على فرسيهما فقال له جوهر: " قد علمت ما يجمعني و إياك من حرمة الإسلام و حرمة الدين و هذه فتنة قد طالت و أريقت فيها الدماء.... و قد وعدتك إلى الصلح و الموادعة و الدخول في السلم و الطاعة و بذلت لك كل اقتراح و إرادة و إحسان وولاية.... فراقب الله تعالى و راجع نفسك و غلب رأيك على هوى غيرك"، فقال له أفتكين: " أنا و الله واثق به و بصحة الرأي و المشورة منك لكنني غير متمكن مما دعوتني إليه و لا يرضى القرمطي بدخوله فيه معي" ،فقال له :"إذا كان الرأي و الأمر

(1)- ابن القلانسي: المصدر السابق، ص: 13.
(2)- ابن أيبك، المصدر السابق، ص: 176. ابن القلانسي: المصدر السابق، ص، 15.
(3)- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص، 47.

على ذلك فإني أصدقك على أمري تعديلا على الأمانة .......و تكون قد جمعت بين حقن الدماء و اصطناع المعروف"[1].

غير أن أفتكين أخبر القرمطي بما دار بينه و بين جوهر فحذر القرمطي أفتكين منه و أخبره بمكره و ذكائه[2].

رحل جوهر إلى مصر و أعلم العزيز بالحال فسار العزيز بنفسه إلى الشام في سبعين ألف مقاتل و عندما وصل إلى الرملة التقى الطرفين و اشتد القتال بينهما[3]، و أثناء القتال قال العزيز لجوهر :"أرني أفتكين" فأشار إليه و أرسل العزيز رجلا من جنده و قال له بأن يقول له ": يا أفتكين أنا العزيز و قد أزعجتني على سرير ملكي أخرجتني لمباشرة الحرب بنفسي و أنا مسامحك بجميع ذلك و صانع لك عنه فاتركه.... و أنوه باسمك و أجعلك إسفهسلار عسكري، و أهب لك الشام بأسره"[4]، غير أن القتال استمر بين الطرفين و قتل و أسر كثيرا و قتل من المغاربة جيش الفاطميين نحو من عشرين ألف، و جعل العزيز لمن يحضر أفتكين مائة ألف دينار[5].

و بمجرد أن قبض العزيز على أفتكين سنة 368هـ سيره معه إلى مصر و أكرمه و بقي عنده معظم حياته حتى مات بها، فبعث العزيز إلى الأعصم زعيم القرامطة فأدركه بطبرية، و أكرم العزيز ملك القرامطة هذا الذي استنجد به الدمشقيون على لسان أفتكين أن يعاونهم على الخلاص من الفاطميين، فالعزيز أكرمه و أعطاه عشرين دينارا ليستميله فلا يعود إلى نصرة أحد من أهل بلاده[6].

لما فارق أفتكين دمشق إلى فلسطين قدم على أهلها رجل اسمه قسام الحارثي قيل أن أصله من قرية تلفيتا اشتغل بنقل التراب على الحمير و انتقلت به الأحوال حتى صار له ثروة و أتباع و غلب على دمشق و ما إليها

(1)- ابن القلانسي، المصدر السابق، ص، 14.
(2)- المصدر نفسه، ص، 15.
(3)- محمد كرد علي، المرجع السابق، ص، 232.
(4)- ابن القلانسي، المصدر السابق، ص، 15.
(5)- محمد كرد علي، المرجع السابق، ص، 232.
(6)- ابن القلانسي، المصدر السابق، ص، 20.

من الأصقاع بحيث لم يبقى معه لنوابها من الفاطميين[1]، و في سنة 368هـ أتى أبو تغلب من الموصل و كان واليا عليها، و حاول فتح دمشق فقاتل قسام و منعه عنها فسار أبو تغلب إلى الرملة فلقيه الأفضل قائد العزيز فقتل مع أهله و أسر النساء و قطع رأسه و أرسله إلى العزيز في مصر، ثم عصت دمشق و بلاد الشام على العزيز[2].

و لما خاف الفاطميون عاقبة قسام الحارثي الذي استلذ طعم الانتصار، و غير مرة سيروا لحربه الأمير الأفضل فحاصر دمشق و ضاق بأهلها الحال فخرج قسام متنكرا فأخذه الحرس فقال: ' أنا رسول' فاحضروه إلى الأفضل فقال له:" أنا رسول قسام إليك لتحسن له و تعوضه عن دمشق بلدا يعيش به و قد بعثني إليك سرا"، فحلف الأفضل فلما توثق منه قام و قبل يديه و قال: ' أنا قسام" فأعجب الأفضل ما فعله و زاد في إكرامه و رده إلى البلد و سلمه إليه، و قام الأفضل بكل ما ضمنه و عوضه بلدا عاش فيه[3].

غير أن نعمان قسطالي يذكر أن العزيز أرسل جيشا مع بكتكين لإرجاع الشام لطاعته فاستولى بكتكين أولا على فلسطين ثم سار إلى دمشق و استقر بها[4]، و بهذا تمكن العزيز من اتقاء شر قسام صاحب أفتكين.

### المطلب الرابع: الحرب مع بكجور(373هـ/983م):

كتب بكجور والي حمص سنة 373هـ، إلى العزيز في مصر ليوليه دمشق[5]، و أن ينفذ إليه عسكر ليأخذ

---

(1)- ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص، 277. ابن أيبك: المصدر السابق، ص، 176. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص، 67. ابن القلانسي: المصدر السابق، ص، 21.

(2)- نعمان قسطالي: المرجع السابق، ص، 42.

(3)- محمد كرد علي، المرجع السابق، ص، 233. ابن أيبك: المصدر السابق، ص، 209.

(4)- نعمان قسطالي: المرجع السابق، ص، 42.

(5)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص، 68.

حلب* فأنفذ إليه عسكر فنزل حلب[1]، فأجابه العزيز إلى ذلك و كتب لعامله بكتكين أن يسلم دمشق لبكجور و يحضر إلى مصر فسلمها له في رجب و رحل فاستقر بكجور على دمشق[2]، و كان بكجور يخاف من أهل دمشق لسوء سيرته[3] فضجره أهلها و كرهوه و تشكوا منه فسمع العزيز تشكيهم، و في سنة 378هـ، أرسل قائده منير الخادم بجيش إلى دمشق ليعزل عنها بكجور و يتولاها و لما قرب منها خرج بكجور عند دمشق فاستولى منير على امارتها و أحسن السيرة في أهلها[4].

---

* حلب: إن مدينة حلب مدينة عريقة في القدم لا يمكن تحقيق الزمان الذي بنيت فيه إلا أن معنى إسمها هو اللبن و البياض سميت إما لبياض تربتها و إما لغزارة لبنها، انظر: أبو الفضل محمد بن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب. تق، عبد الله الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، 1404هـ-1984م، ص، 28.

(1)- كمال الدين أبي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله ابن العديم الحلبي الحنفي. (ت، 660هـ)،زبدة الحلب من تاريخ حلب.تح،خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م، ص، 102.

(2)- نعمان قساطلي، المرجع السابق، ص، 42.

(3)- ابن العديم، المصدر السابق، ص، 102.

(4)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص، 69. نعمان قساطلي، المرجع السابق، ص، 42.

## المبحث الثالث: الجيش الفاطمي في الحملة الصليبية الأولى:

يبدو أن السبب الرئيسي في عداء أهل أوروبا للمسلمين في الشرق الأوسط هو الحج المسيحي إلى الأماكن المتصلة بذكريات المسيحية في مدينة القدس أو بيت المقدس[1]، إذ يرى المؤرخ عبد المنعم ماجد أن عقائد الحج المسيحي بدأت تظهر بقيام الدولة البيزنطية- ورثة الرومان في الشرق-و أخذت بدين المسيح و دانت بتعظيمه، إذ أن هيلانة أم قسطنطين أول امبراطور لهذه الدولة المسيحية ارتحلت إلى القدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح فاخبرها القساوسة بانه رمي بالخشبة على الأرض و القيت عليها القمامة و القاذورات، فاستخرجت الخشبة و بني مكانها كنيسة عرفت باسم كنيسة القيامة أو كنيسة القمامة لوجود هذه القمامة، ثم بنى البيزنطيون في بيت لحم المجاور للقدس كنيسة على المكان الذي ولد فيه المسيح فكان النصارى من جميع البقاع يذهبون لزيارة هذه الأماكن المقدسة و أن الحج إليها تكفير نهائي للذنوب[2].

لقد كان تسامح خلفاء المسلمين سبب في استمرار الحج المسيحي[3]، و أثبت المسلمون أنهم غير متعصبين انطلاقا من الخليفة عمرو بن الخطاب رضي الله عنه عندما فتح القدس و إعطائه الأمان للمسيحيين و حرية ممارسة معتقداتهم[4]، وصولا إلى الخليفة الفاطمي العزيز بالله الذي تزوج من ابنة بطريك بيت المقدس، لكن الخليفة الفاطمي الحاكم عندما تولى الخلافة سنة 386هـ، أظهر تعصب و منع النصارى في بيت المقدس من الاحتفال بأعيادهم، و هدم كنيسة القيامة المقدسة و غيرها من الأماكن الدينية و فرض على اليهود لبس علامات مميزة منها تعليق الصليب و إبرازه مما ادى إلى توقف الزيارات، فأثار هذا الأمر حفيظة المسيحيين حتى ان

(1)- أحمد باقر عبد الله مبارك، الحرب الصليبية، مجلة الهجرة، 1981م، ص، 7.
(2)- عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها، المرجع السابق، ص، 364.
(3)- ارنست باركر، الحروب الصليبية، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1386هـ- 1967م، ص، 14.
(4)- أحمد باقر، المرجع السابق، ص، 11.

البابا بنوا الثامن قام بالدعوة لحرب المسلمين سنة 407هـ فعدل الحاكم عن موقفه و قام بإعادة بناء كنيسة القيامة[1].

لقد كان الصراع بين بغداد و القاهرة على أشده في القرن الحادي عشر للميلاد و بما أن الشام تمثل حلقة وصل بين هاتين العاصمتين، فضاء للنزاع العباسي الفاطمي، و ما جعل الصراع يتأجج أكثر هو ظهور السلاجقة كقوة على الساحة إذ استولوا على بيت المقدس و بعض ممتلكات الدولة الفاطمية، فأصبحت العلاقة بين السلاجقة و الفاطميين هي الأخرى يشوبها العداء و التوتر[2]، و بهذا هاجم السلاجقة الفاطميين ساءت أحوال النصارى في بيت المقدس و توقفت الزيارات إليه.[3]

اتخذ الفرنج من شكوى حجاج بيت المقدس ذريعة لحرب المسلمين في الشرق، فكلف رجل الدين الفرنسي بطرس الراهب* لدعوة إلى حرب المسلمين لتخليص الأماكن المقدسة و في أثناء ذلك أرسل ملك القسطنطينية ألكسوس كومنين وفدا إلى البابا أوربان الثاني يطلب منه المساعدة لأن الأتراك السلاجقة قد أغاروا على بلاده[4].

و هكذا أخرجت الدعوة من فرنسا لحرب المسلمين إذ أنها لم تنسى غارات المسلمين على أراضيها، و كذلك دفاعها عن المسيحية في معركة بلاط الشهداء، لكثرة ما سقط من قتلى المسلمين.

لقد ألقى البابا أوربان خطابا بليغا تناول فيه الغرض الذي دعا من أجله إذ نذكر من بعض ما قال في خطابه " بما أنكم يا أبناء الله قد وعدتموه بأن تحفظوا السلام بينكم و ان تخلصوا أكثر ما مضى في المحافظة على حقوق

---

(1)- عبد المنعم ماجد: الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها، المرجع السابق، ص، 366.

(2)- فهمي محمد توفيق محمد مقبل: شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية. ( د. ط)، ( د. ت) ، ص: 32.

(3)- عبد المنعم ماجد: الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها، المرجع السابق، ص، 366.

* بطرس الراهب: كان رجلا فقيرا مولود بأميان من أعمال بيكاردية: إحدى مقاطعات مملكة فرنسا، انقطع للتعبد و لبس ثوبا رهبانيا من الصوف الخشن و أقام بمغارة، تعبد فيها ثم تركها و توجه مع جماعة بقصد زيارة بيت المقدس: فلما وصلوا إلى المدينة المقدسة وجدوها في حكم المسلمين صار بطرس يبكي و ينتحب ثم تقابل مع البطريك سمعان و تحادثا مليا فأخبره البطريك عن كيفية استيلاء المسلمين على بيت المقدس الذي هو قبر المسيح، أنظر، سيد علي الحريري، الأخبار السنية في الحروب الصليبية. الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1406هـ-1985م، ص: 17.

(4)- المرجع نفسه: ص، 18.

الكنيسة فإن عليكم و قدر الله اعوجاجكم أن تؤدوا مهمة ملحة لكم... عليكم أن تسارعوا لمد يد العون لإخوانكم القاطنين في المشرق الذين يحتاجون إلى مساعدتكم و طالما التمسوها" و من قوله كذلك:" إن الأتراك ... قد هاجموهم كما يعلم الكثيرون منكم.... و قتلوا و أسروا الكثيرين... لذا و بصلاة خاشعة فإنني لابد أن الله و ليس أنا يحثكم... على أن تحضوا الرجال مهما كانت مراتبهم.. وأن يسارعوا لسحق هذا الجنس" و من قوله:" إن يسوع يأمر بما يلي إلى هناك سوف نغفر له كل خطاياه"[1]

يستخلص من نص خطاب البابا أوربان الثاني على حد تعبير مؤنس عوض أن البابا وجه حديثه إلى جنس الفرنجة موضحا لهم أن الله ميزهم بموقع بلادهم و عقيدتهم الكاثوليكية، أشار البابا كذلك إلا أنه هناك أخبار مزعجة في الشرق مفادها أن الأتراك السلاجقة ذبحوا مسيحي الشرق، و عدلوا الكنائس للإسطبلات ، وعمل على إثارة مطامع الصليبيين في الشرق، إذ قال لهم بأن أرض الشرق تفيض عسلا و لبنا ، كما وعد البابا كل من يحمل السلاح تغفر ذنوبه و يصطلح عليها بالغفران الكنسي، كما أشار في خطابه إلا أن بيت المقدس هي الجنة الأرضية فوق العالم التي شهدت ميلاد المسيح[2].

جمع بطرس جيشا كبيرا، نما من شراذم قليلة العدد إلى مجموعة من الجيوش و جمع أعدادا لا تحصى من بلاد عديدة تنطق بلغات شتى و لكنهم لم يجتمعوا في جيش واحد إلا في نيقية[3].

كانوا يعلقون على الكتف الأيمن أو على الكتفين صليب من قماش أحمر لذلك عرفت الحروب التي قامت بها ضد المسلمين بالحروب الصليبية، عندما خرج الفرنجة لقتال المسلمين كانوا بطريقة غير منظمة كما وصفها المقريزي حملة الرعاع و العامة[4]: كان فيها من يحمل المزاريق و منم من يحمل الحراب و كثيرون عزل بلا سلاح، و أكثرهم

---

[1]- لوثيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، تر: زياد العسيلي، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، 1990م، ص 36.

[2]- محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية ( العلاقات بين الشرق و الغرب)، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، ط1، 1999م، ص 67.

[3]- فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص 41.

[4]- مؤنس عوض، المرجع السابق، ص 71.

مشاة و معهم عائلاتهم من نساء و أولاد، فسارت الجيوش و سلوكها النهب و السب فكلما مرت هذه الجيوش على مدينة أو قرية إلا و قاموا بالنهب و السلب و القتل و التدمير[1]، إذن فسلوكهم شاهد على أن حجتهم في محاربة الإسلام ما هي إلا غطاء لعدة مقاصد.

عندما وصلت هذه الجيوش إلى القسطنطينية كان عددهم مائة ألف محارب، فنقلهم ألكسوس كومنين بمراكبه من القسطنطينية إلى وراء البوسفور، و هناك تفرقت كلمتهم فتركهم بطرس و عاد إلى القسطنطينية، فلما بلغ أمرهم إلى قليج أرسلان جمع عساكره و احتاط بهم من كل جهة[2]، ففتك بهم و أوقع بهم هزيمة ساحقة فقتل منهم الألاف عند قوينة و بذلك تأكد الإخفاق الكامل لحملة العامة[3].

لما بلغ سكان أوروبا ما حصل بالحملة الأولى شملهم الحزن و الغم الشديد و فكروا في الانتقام، و اعتمدوا على السفر إلى البلاد الشرقية تحت رئاسة غود فري دي بوليون دي لورين، و كان هذا الشخص مبجلا معظما، شجاعا ذا رأي و معه عدد وافر من فرنسا و النمسا، وسار جيش آخر من إيطاليا برئاسة هوكنتز، و جيش اخر من إقليم فرنسا الجنوبي برئاسة ادهمار دي مونتيل[4].

خاف ألكسوس كومنين بتمرد وصول هذه الجيوش إلى القسطنطينية، لأن هذه الجيوش كانت تهجم بشراسة على أهل القرى و تنهب موجوداتهم، يذكر مؤنس عوض أن هذه الجيوش الصليبية عندما انتقلت إلى أسيا كانت هناك بينها و بين جيش السلاجقة معركة و هي معركة ضوريليم سنة 491هـ، انتصر فيها الصليبيون على السلاجقة و استولوا على مدينة قونية[5].

---

[1]- عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها، المرجع السابق، ص، 367.
[2]- سيد علي الحريري، المرجع السابق، ص، 25.
[3]- مؤنس عوض، المرجع السابق، ص، 71.
[4]- سيد علي الحريري، المرجع السابق، ص، 25.
[5]- مؤنس عوض، المرجع السابق، ص، 77.

لقد بدأت المدن الإسلامية تسقط في أيدي الفرنج، إذ استولت الجيوش الصليبية على أنطاكية سنة 491هـ/1097م بعد أن أبدى الجيش السلجوقي الموجود فيها بسالة كبيرة بعد أن استهان به الجيش الصليبي[1].

و في أثناء ذلك بعث الأفضل وزير المستعلي الخليفة الفاطمي من مصر وفدا إلى الفرنج يعرض عليهم الصلح و المسالمة و أنه يرجع إليهم الكنائس التي يشدها المسيحيون و أن يحامي عنهم و يفتح أبواب بيت المقدس للزوار بشرط أن يدخلوها للإسلام و لا يبقى الواحد فيها أكثر من شهر و إذا رفضوا ذلك فالخليفة مستعد لأن يعقد محالفة من المسلمين لصدهم[2].

لقد شكل أمر هذه السفارة اختلاف بين المؤرخين إذ اعتبر بعض المؤرخين أن الدولة الفاطمية عدوة السلاجقة قد استنجدت بالروم لأن في الحقيقة المسلمين لم يفهموا بداية الأمر نوايا الفرنج على حد تعبير فهمي توفيق هذا ما جعل الدولة الفاطمية تتخبط في سياستها اتجاه الصليبيين في أول الأمر، و على الأرجح أن هذه السفارة حملت عرضا خلاصته الوصول إلى اتفاق يتعاون فيه الطرفان في القضاء على السلاجقة على أن تقسم الغنيمة بعد ذلك بينهما[3].

بعد مضي سنة أشهر من استيلاء الصليبيين على أنطاكية تقدموا في مسيرهم و اجتاحوا مقاطعة قيسارية و حماة و حمص و ساروا إلى أن وصلوا عكا و حينئذ خرج واليها الذي كان تابعا لخليفة مصر و أعلمهم بأنه مستعد لتسليم المدينة عندما يستولون على بيت المقدس فتركوه واوصلوا سيرهم إلى بيت المقدس[4].

كان بيت المقدس في الوقت الذي تقدم فيه الصليبيون لمهاجمته خاضعا للفواطم و على حكمه نائبا من قبلهم

(1)- سيد علي الحريري، المرجع السابق، ص، 37.

(2)- مؤنس عوض، المرجع السابق، ص، 79.

(3)- فهمي توفيق مقبل: المرجع السابق، ص، 37.

(4)- سيد علي الحريري: المرجع السابق، ص، 44.

يدعي افتخار الدولة، و قد تم بناء ما تهدم من السور وقت استيلاء الأفضل بن بدر الجمالي على بيت المقدس[1]، و يذكر ابن خلدون أن الأفضل استغل انشغال السلاجقة بمحاربة الصليبيين في أنطاكية و حاصر الأمير سقمان صاحب بيت المقدس و استرجعها منه[2]، بعد أن نصب عليها المجانيق، و حاصرها مدة أربعين يوما حتى هدم جانبا من السور[3].

لما وصل الصليبيون إلى المدينة انعقد مجلس مشورتهم و قرر حصار بيت المقدس فكان كما يأتي في شمال المدينة دوك دي نورمنديا، وكونت دي فلاندرا وتنكريد أي من باب هيردوس إلى باب القدس اسطفانوس و كانغود دفري و اسطاكيوس حول جبل الجلجلة من باب دمشق إلى باب يافا، و كان الكونت دي طولوز و رايموند دي أورانج و غيلوم دي مونت بلير و غاسطون دي بيرا على يمين غودا فري على جبل صهيون قبلى المدينة إلى الغرب و هكذا أقيم الحصار مدة من الأيام، ثم شرعوا في الهجوم على القسم الجنوبي من القدس فانهارت الأسوار الأولى أمام هجوم الصليبيين العنيف، لكنهم قاسوا كثيرا من نقص الذخيرة و قلة الماء و الحرارة[4].

فكر الصليبيون بأنه يلزمهم منجنيقات للقذف بها على سور المدينة، فأخذوا يبحثون على الأخشاب اللازمة لذلك حتى انهم هدموا منازل القرى المجاورة للمدينة و أخذو أخشاب السقوف[5].

وصلت للصليبيين في يافا بعض أساطيل جنوية حملت إليهم ما هم في حاجة إليه من الذخيرة و الأخشاب و العمال مما قلب الموازين و شرع الصليبيون في الهجوم و على الرغم من استعدادهم وجدوا أن الحاميات الفاطمية

[1]– عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص، 69.
[2]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج5، ص، 25.
[3]– سيد علي الحريري، المرجع السابق، ص، 45.
[4]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، المصدر السابق، ص، 22.
[5]– سيد علي الحريري، المرجع السابق، ص، 45.

قد شكلت دفاعا قويا[1]، فكانوا يفضلون الانتحار بإلقاء أنفسهم من بروج الحوائط على تسليم أنفسهم[2]، فدام حصاره أربعين يوما[3].

استطاع جماعة من جند جود فري أن يجدوا منفذا من ناحية لم يهتم المسلمون بتحصينها فدخلوا منها و فتحوا أبوابها للفرنج الذين اندفعوا كالسيل، فالتفت المسلمون إلى الوراء و إذا بهم يرون أنفسهم و قد أحدق المغير بهم من كل جانب فلم يجدوا وسيلة[4]، إلا الالتجاء إلى الصخرة و الأقصى و اجتمعوا بها فجمعوا عليهم و قتلوا في الحرم مائة ألف و سبوا مثلهم و قتلوا الشيوخ و العجائز و سبوا النساء[5]، و قتل بالمسجد سبعون ألفا أو يزيدون من المحاربين فيهم أئمة المسلمين و علمائهم و عبادهم و زهادهم[6].

عندما بلغ هذا الأمر للأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي، اهتم بالحفاظ على ما تبقى لهم من ممتلكات في جنوب فلسطين، فاهتموا بتوجيه حامية قوية في عسقلان تجرد إليها العساكر و الأساطيل في شكل أبدال تتولى على حمايتها كل ستة أشهر[7].

و يذكر المقريزي أن الأفضل أمير الجيوش أرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا، فردوا إليه الجواب[8] و رحلوا على إثره و طلعوا على المصريين عقب وصول الرسول و لم يكن عند المصريين خبر وصولهم، و المهم من هذا أنهم لم يكونوا على أهبة القتال، فنادوا إلى ركوب خيولهم و لبسوا أسلحتهم و أعجلهم الفرنج فهزموهم

---

(1)- عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص، 63.

(2)- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص: 371.

(3)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص، 25.

(4)- عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص، 64.

(5)- ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج5، ص، 147.

(6)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج5، ص، 25. ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص، 19. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، المصدر السابق، ص، 23.

(7)- أيمن فؤاد السيد، المرجع السابق، ص: 268.

(8)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، المصدر السابق، ص، 24.

و قتلوا منهم من قتلوا و غنموا ما في العسكر من مال و سلاح و غير ذلك و انهزم الأفضل فدخل عسقلان و مضى جماعة من المنهزمين فانتشروا بشجر الجميز و كان هناك كثير و أحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك فيه و قتلوا من خرج و عاد الأفضل في خواصه إلى مصر و نازل الفرنج عسقلان و ضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة اثنا عشر ألف دينار و قيل عشرين ألف دينار ثم عاد إلى القدس[1].

[1]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص، 20، 21.

## المبحث الرابع: تفكك الجيش الفاطمي:

لقد مر علينا في ما سبق دور الجيش الفاطمي في توطيد سلطان الدولة الفاطمية في المغرب و المشرق، و منه نلاحظ أن الدولة تكون قوية بجيشها فإن فسد أمر جيشها انهارت و أصبحت معرضة للغزو الخارجي.

لقد شكل تعدد طوائف الجند الفاطمي و اختلافها، أثرا سلبيا على الدولة الفاطمية، فحدث في عهد المستنصر فتنة بسببها أن جرد أحد الأتراك سيفا على أحد العبيد فاجتمع عليه كثير من العبيد و قتلوه[1]، فحنق لقتله الأتراك و ساروا جميعهم إلى المستنصر و قالوا: " ان كان عن رضاك فالسمع و الطاعة و ان كان من غير رضى أمير المؤمنين فلا نرضى بذلك"[2]، فتبرأ المستنصر مما جرى و أنكره، فتجمع الأتراك لمحاربة العبيد و كانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك، قتل فيها عدد كبير من العبيد و انهزم من بقي منهم[3]، فاستاءت أم المستنصر لذلك إذ أنها كانت السبب في كثرة العبيد السود بمصر، و ذلك انها كانت جارية سوداء فأحبت الاستكثار من جنسها و اشترتهم من كل مكان ؛ فلما كانت وقعة كوم شريك أمدت العبيد بالأموال و السلاح سرا، فكانت أم المستنصر قد حقدت على الأتراك فحدث أن ظفر الأتراك يوما بشيء من السلاح و المال قد بعثت به أم المستنصر إلى العبيد تمدهم به بعد انهزامهم في كوم شريك، فاجتمعوا بأسرهم و دخلوا على المستنصر و أغلظوا في القول فحلف انه لم يكن عنده علم بما ذكر و صار إلى امه فأنكرت ما فعلته و خرج الأتراك و اصطدموا بالعبيد[4] ، و وقعت الفتنة ثانيا غير ان هذه الفتنة أخذت فترة من الزمن بعد أن أسند المستنصر الأمر الى أبي الفتح المغربي بالصلح بينهما[5].

---

(1)- سيدة إسماعيل كاشف و آخرون: المرجع السابق، ص، 271.

(2)- أيمن فؤاد السيد: المرجع السابق، ص، 200.

(3)- عبد المنعم ماجد: الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها، المرجع السابق، ص، 92.

(4)- أيمن فؤاد السيد، المرجع السابق، ص، 200.

(5)- سيدة إسماعيل كاشف و آخرون: المرجع السابق، ص، 275.

ضاقت أحوال العبيد و اشتدت ضرورتهم و كثرت حاجتهم و قل مال السلطان و استضعف جانبه فبعثت ام المستنصر إلى قواد العبيد تغريهم بالأتراك فاجتمعوا بالجيزة و خرج إليهم الأتراك و مقدمهم الناصر حسين بن حمدان فاقتتلا عدة مرات فبعثت ام المستنصر إلى من بحضرتها من العبيد تأمرهم بالإيقاع على غفلة بالأتراك فهجموا عليهم و قتلوا منهم عددا كبيرا، فبادر ابن حمدان الخروج الى ظاهر القاهرة و تلاحق به الأتراك و برز إليهم العبيد المقيمون في القاهرة و مصر و حاربوهم عدة أيام[1].

استهان الأتراك بالخليفة المستنصر إذ صار مقررهم في كل شهر أربعمائة ألف دينار بعد ما كان ثمانية عشرة ألف دينار فلم يبقى في الخزائن مال، فبعثوا إليه يطالبونه بالمال فاعتذر منهم بعجزه عما طالبوه فلم يعذروه و اقترحوا عليه بيع ذخائره[2].

نتيجة لهذه الفوضى التي عمت البلاد اضطر المستنصر استدعاء بدر الجمالي من خارج مصر لضبط الأمور و يعيد للدولة هيبتها و يبسط سلطانها، و عندما دخل بدر الجمالي مصر جلب معه جيشه المتكون من الأرمن و ستكون لهم فيما بعد دور في الفتنة التي حدثت بين طوائف الجند، إذ أخذ الجند الأرمن يتطاولون عل الناس بعد أن تم القضاء على فتنة الأتراك و العبيد[3]، و أثناء هذه الفترة كانت حالة مصر الداخلية جد متدهورة نتيجة انخفاض النيل، فظهرت المجاعة و الأسعار جد غالية[4].

فبعد اثبتت الأمور لبدر الجمالي في مصر خلفه ابنه من بعده، و بهذا دخلت مصر في عهد نفوذ الوزراء حيث أصبح الوزير هو الذي يتحكم في شؤون الدولة و الخليفة يحكم بشكل رمزي فقط[5]، عندما تولى العادل بن طائع بن رزيك الوزارة- خلفا لوالده- واجه فتنة ساهمت بشكل كبير في سقوط الدولة الفاطمية في مصر

---

(1)- عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها. المرجع السابق، ص، 95.

(2)- سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 275.

(3)- عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها. المرجع السابق، ص، 96.

(4)- ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج5، ص، 5.

(5)- سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 290.

و كان ذلك بسبب عزل شاور بن مجير السعدي عن ولاية قوص، و تولية غيره، ثم دخل القاهرة بصحبة فريق كبير من أتباعه و تخلص من العادل و خلفه الوزارة سنة 558هـ[1]، و بدأ عمله بزيادة مرتبات الأجناد و العرب، غير أن وزارته لم تدم طويلا، إذ ثار عليه ضرغام أحد أفراد الجيش و تقلد الوزارة[2]، مما اضطر شاور لطلب النجدة من نور الدين في الشام ضد ضرغام الذي طرده من الوزارة و استولى عليها فأطمعه في الديار المصرية ووعده بحصة من خراجها مقدارها الثلث سنويا، و يمنح جنده الإقطاعات و يقيمون في مصر و يكون متصرفا تحت أمره و نهيه فتردد نور الدين حمود في بادئ الأمر[3]، إذ يذكر المقريزي أن نور الدين بقي يقدم إلى هذا الغرض رجلا و يؤخر أخر فتارة بقصد رعاية شاور كونه التجأ إليه، و كل ما قاله زيادة في ملكه و تقوية له على الفرنج و تارة يخاف خطر الطريق، كون الإفرنج فيه[4].

فاراسل نور الدين شيركوه الذي أخذ معه أبن اخيه صلاح الدين، و يظهر أن شاور لم يرغب في حضور شيركوه* و صلاح الدين لعله كان يظن أن نور الدين يكل القيادة إليه ، ولما وصل شيركوه إلى بلبيس شرقي القاهرة خرجت عساكر من قبل ضرغام بقيادة أخيه ناصر الدين لقتال جيش شيركوه، و لكن عسكر شيركوه أجبره على التقهقر نحو القاهرة[5]، و بمجرد وصول شيركوه خرج ضرغام من القاهرة لملاقاته فحدث قتال شديد بينهما[6] اشترك فيه الجند الفاطمي و السودانيين خوفا من الغز أي الترك القادمين مع شاور فانتصروا عليهم في القاهرة، و بقي ضرغام أياما يقاتلهم و لكن كره الجند الفاطمي ضرغام لأمور منها قتله قوادهم و أعيان البلاد إذ

(1)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، المصدر السابق، ص، 256-258.

(2)- سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 290.

(3)- عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها، المرجع السابق، ص، 388.

(4)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، المصدر السابق، ص، 264.

* شيركوه: هو أسد الدين شيركوه، أصله من دوين بليدة من عمل أذربيجان من جهة أوان و بلاد الكرج و هو من قبيل الروادية إحدى بطون الهذبانية من قبائل الأكراد و هو أخوه نجم الدين أيوب و كان أسن منه إلى بغداد و اتصلا بخدمة مجاهد الدين بهروز شحنة العراق من قبل السلطان مسعود بن احمد بن ملكشاه السلجوقي فأقطع لأيوب تكريت فأقام بها و معه أخوه شيركوه و بمساعدتها لعماد الدين زنكي أكرمها و اقطعها إقطاعا. انظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، المصدر السابق، ص، 305.

(5)- سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 295.

(6)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، المصدر السابق، ص، 267.

كان يأخذ بالظنة حتى بين أصحابه و أفراد أسرته، جعلهم ينحرفون عنه ؛ مما دعا الخليفة العاضد بدوره إلى التخلي عن تأييده له فاستطاع شاور أن يهزم ضرغام و يقتل أخويه[1]، و بعدما تولى شاور الوزارة للخليفة العاضد ثانية، فأرسل إلى شيركوه يطلب منه الرجوع إلى الشام فامتنع شيركوه و أسرع إلى بلبيس بناء على إشارة صلاح الدين، و ليحتفظ شاور بالوزارة اتصل بأمريك صاحب بيت المقدس و دعاه لإخراج جند شيركوه، مقابل مال يدفعونه له[2] فحاصر شيركوه و صلاح الدين في بلبيس مدة ثلاثة أشهر ولما أعياهم شيركوه انتهى الأمر بعقد اتفاق يقضي بخروج شيركوه و الصليبيون من مصر[3].

وعندما دخل شيركوه مصر أثناء الحملة الأولى رأى ضعف و اضطراب أحوال مصر، فأرسله نور الدين على رأس حملة ثانية فخرج شيركوه سنة 563هـ/1167م، كان معه ابن أخيه صلاح الدين، دخل مصر عن طريق ساحل البحر الأحمر ناحية الصعيد ثم نزل الجيزة قبالة مصر، حتى لا تحاصر بلبيس مرة أخرى[4]، فاتصل شاور ثانية بالفرنجة يستنجدهم، و يعدهم بالمال، فالتقى جيش الطرفين فهزم جيش شيركوه جيش شاور، لكن بسبب قلة جنده اتجه إلى الصعيد، فقام الصليبيون و جند شاور باتباعهم غير أنهم هزموا بفضل مهارة صلاح الدين و جنده في مكان يسمى البابين[5].

سار شيركوه إلى الاسكندرية فسلمها أهلها إليه إذ أنهم لم يرغبوا في تسليمها للصليبيين، فاستناب بها صلاح الدين ابن أخيه و عاد إلى الصعيد[6]،هذا التدخل يوضح أن مصر لم تعد في أيدي الفاطميين و إنما أصبحت بيد فرنجة بيت المقدس، أو بالأحرى بيد الوزير شاور، وما زاد الطين بلة أن الصليبيين صمموا هذه المرة على سباق

---

(1)- عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها. المرجع السابق، ص: 379.
(2)- سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 296.
(3)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج3، ص، 3.
(4)- عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها. المرجع السابق، ص: 381.
(5)- سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 296.
(6)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص، 5.

جيش نور الدين في الوصول إلى مصر بغية الاستيلاء عليها، إذ اعتقدوا أن غزوها سيكون سهلا لأنه كانت لديهم حامية عند أبواب القاهرة[1].

عندما دخلت الجيوش الصليبية ارتكبت في بلبيس ما حدث عندما تم الاستيلاء على بيت المقدس إذ يذكر في شأن ذلك المقريزي " تمكن الفرنج من ديار مصر و حكموا فيها حكما جائر و ركبوا المسلمين بالأذى العظيم و قد تبين أن لا حامي للبلاد و بين لهم ضعف الدولة و تكشف لهم عورات الناس، فقد احزمه على المسير إليها"[2].

أرسل الخليفة العاضد في الاستنجاد بنور الدين خوفا من استيلاء الفرنجة على مصر، فأرسل شيركوه و معه صلاح الدين على رأس حملة ثالثة، و عندما وصلت أنباء تحرك عساكر نور الدين وجدوا هذه المرة أنفسهم مضطرين لقتال جيش مصر و الشام معا، فقبلوا الصلح مع شاور الذي عرض عليهم مائة ألف دينار[3].

الأمر هذه المرة هو أن شيركوه وجد زيادة تذمر المصريين و كرههم لشاور بسبب سوء سياسته إذ أخذ الكثير منهم يفقد بيوتهم و متاعهم، و بقيت مصر مدة لا يسمع فيها أذان، كما أنهم بعد هجرتهم إلى القاهرة لقوا فيها شظف العيش و أقاموا أثناء حصارها مطرحين في المساجد و الحمامات[4]، و يذكر ابن الأثير أن النار بقيت مشتعلة أربعة و خمسين يوما[5].

و يبدو أن نهاية شاور قد قربت إذ كان من بين أبنائه من يعارضه و هو ابنه الكامل الذي كان يميل إلى محالفة نور الدين إنقاذا للإسلام في المنطقة[6]، و مع ذلك فإن الذي قضى على شاور هو صلاح الدين و عمه

---

(1)- سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 297.

(2)- المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، المصدر السابق، ص، 291.

(3)- عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها، المرجع السابق، ص، 385.

(4)- سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 299.

(5)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص، 13.

(6)- عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها، المرجع السابق، ص، 386.

شيركوه إذ قبض عليه عندما كان يزور قبر الشافعي على حد قول ابن الأثير[1]، فأخذ شيركوه مكان شاور و أصبح وزيرا و لقب بالملك المنصور، سلطان الجيوش، إذ أنه سيطر على كل شيء في الدولة، بما فيها الجيوش و القضاة ، و لقب بسلطان الجيوش و ليس بأمير الجيوش لقب الوزراء السابقين، و بما أنه كان مسيطرا على جيش الخليفة الفاطمي و الجيش التركي الذي جاء من الشام، و بوفاة شيركوه تولى أمر الوزارة من بعده ابن أخيه صلاح الدين[2]، فكانت سياسته تنطوي على إزالة المذهب الشيعي من مصر و إقامة الخطبة للخليفة العباسي لكن صلاح الدين لم يتعجل في رفع الخطبة عن العاضد فرأى أنه من الضروري مشاورة أصحابه فقبل البعض و أبا البعض إلا أن وفد رجل فارسي يعرف بالأمير العالم، قام و خطب للخليفة العباسي و كان ذلك في أول جمعة من شهر محرم سنة 567هـ بالجامع العتيق، جامع عمرو بن العاص- و هكذا تم إزالة سلطان الدولة من مصر و بانتهاء الدولة الفاطمية تفكك جيشها الذي زالت هيبته و ضعفت عزيمته و بما ان طوائف الجند ما فتئت الدخول في فتن عديدة كان لها الدور الأكبر في سقوط الخلافة الفاطمية[3].

(1)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص: 15.

(2)- عبد المنعم ماجد، الخلافة الفاطمية في مصر و سقوطها، المرجع السابق، ص، 387.

(3)- سيدة إسماعيل كاشف و آخرون، المرجع السابق، ص، 302.

# خاتمة

## خاتمة

بعد نهاية دراسة موضوع الجيش الفاطمي في بلاد المغرب و المشرق توصلت إلى أن:

الفاطميون قد نجحوا في حشد عدد كبير من الرجال إلى جانب دعوتهم الاسماعيلية، فكانت البداية مع أفراد من كتامة الذين يعتبرون بمثابة نواة الجيش الفاطمي إذ قاموا بدعم عبد الله الداعي بكل ما يملكون من رجال و مال في بداية الأمر، و الخلفاء الفاطميون بعد ذلك، ومن كتامة أخذت في التوسع و استطاعت تكوين جيش قوي ضم عساكر من مختلف قبائل البربر الموجودة في بلاد المغرب من صنهاجة و زويلة و زناتة و غيرها من القبائل البربرية، إضافة إلى العنصر المغربي ضم الجيش الفاطمي العنصر المشرقي من عرب و ترك، لكن لم تقتصر تركيبته على هذين العنصرين أي المغربي و المشرقي المسلم، و إنما شمل العنصر الأجنبي من روم و صقالبة و غيرهم من الأجناس الأجنبية غير المسلمة، و بهذا يمكن القول أن هذا الجيش هو خليط من عدة أجناس.

فصحيح أن دور الجيش بصفة عامة يحصر في الدفاع عن الدولة و القيام بمهمة التوسع إن أرادت الدولة ذلك، غير ان دور الجيش الفاطمي تخطى هذا الدور و أصبح للجيش دور كبير في الحفلات و المواكب التي كانت تقام في الدولة الفاطمية، حيث كانت تخرج جميع فرق الجيش و تسير كل حسب أهميتها مع موكب الخلافة حاملة مختلف أنواع الأسلحة و الهدف منها على ما يبدوا هو إبراز قوة الدولة و ما تملكه من أسلحة، حتى لا تفكر أي دولة من الهجوم عليها و يمكنني أن أشبه هذا الأمر أنه بمثابة " الإشهار" في وقتنا الحالي.

و أثناء دراستي لدور الجيش الفاطمي سواء في بلاد المغرب أو المشرق توصلت إلى نتيجة جد مهمة و هي أنه كان للجيش دور فعال و كبير في تثبيت وجود الدولة الفاطمية حيث أنه لولا جيشها لما استطاعت من تحقيق هدفها، ألا وهو قيام دولة تمتد أطرافها من المغرب إلى المشرق، و لولا جيشها لما استطاعت قهر أعدائها و إخماد الثورات التي ما فتئت أن تقوم ضدها في كل مرة حتى أنه تمت الخطبة لأحد الخلفاء الفاطميين في عاصمة العباسيين "بغداد"، فهذا و إن دل فإنه يدل على الرغبة الجامحة في السيطرة على المشرق ككل بصفة خاصة ما هو خاضع للدولة العباسية.

كما أن الدولة الفاطمية ظلت في بلاد الشام تتخبط بين هجوم السلاجقة عليها في بعض الأحيان و البيزنطيين في بعض الأحيان الأخرى ما جعلها تخسر كثيرا من المناطق الخاضعة لها، إضافة إلى مجيء الحملة الصليبية الأولى الناقمة على العالم الإسلامي، فمن خلال دراستي لهذا الجزء و اطلاعي على بعض المصادر وجدت

أنها تتهم الدولة الفاطمية استنجادها بالصليبيين للقضاء على السلاجقة، و بعض المصادر و المراجع تدافع عن الدولة الفاطمية و تفند اتهامها، غير أنه يمكن القول و بغض النظر عن هذا أو ذاك، أن الجيش الفاطمي دافع عن بيت المقدس بكل ما يملك كما أنه كان يدرك مدى خسارة هذا المكان المقدس بالنسبة للمسلمين على اختلاف طائفتهم، و كذلك دافع عن عسقلان و صيدا و صور و غيرها من المدن التابعة للدولة الفاطمية.

و من خلال ما تقدم اتضح أنه كما كان لتنوع الجيش الفاطمي دور فعال و كبير في امتداد نفوذ الدولة الفاطمية، كان له في نفس الوقت أثر سلبي في تدهور حالتها فيما بعد، إذ قامت العديد من الفتن بين الطوائف من ترك و مغاربة و أرمن، فانتهت هذه الفتن بتدخل الصليبيين و جيش نور الدين في شؤون الدولة الداخلية، الأمر الذي عجل بتفكك جيشها و بالتالي سقوطها على يد صلاح الدين الأيوبي.

# الملاحق

الملحق رقم 12: "يمثل بعض أنواع أسلحة الجيش الفاطمي"(1)

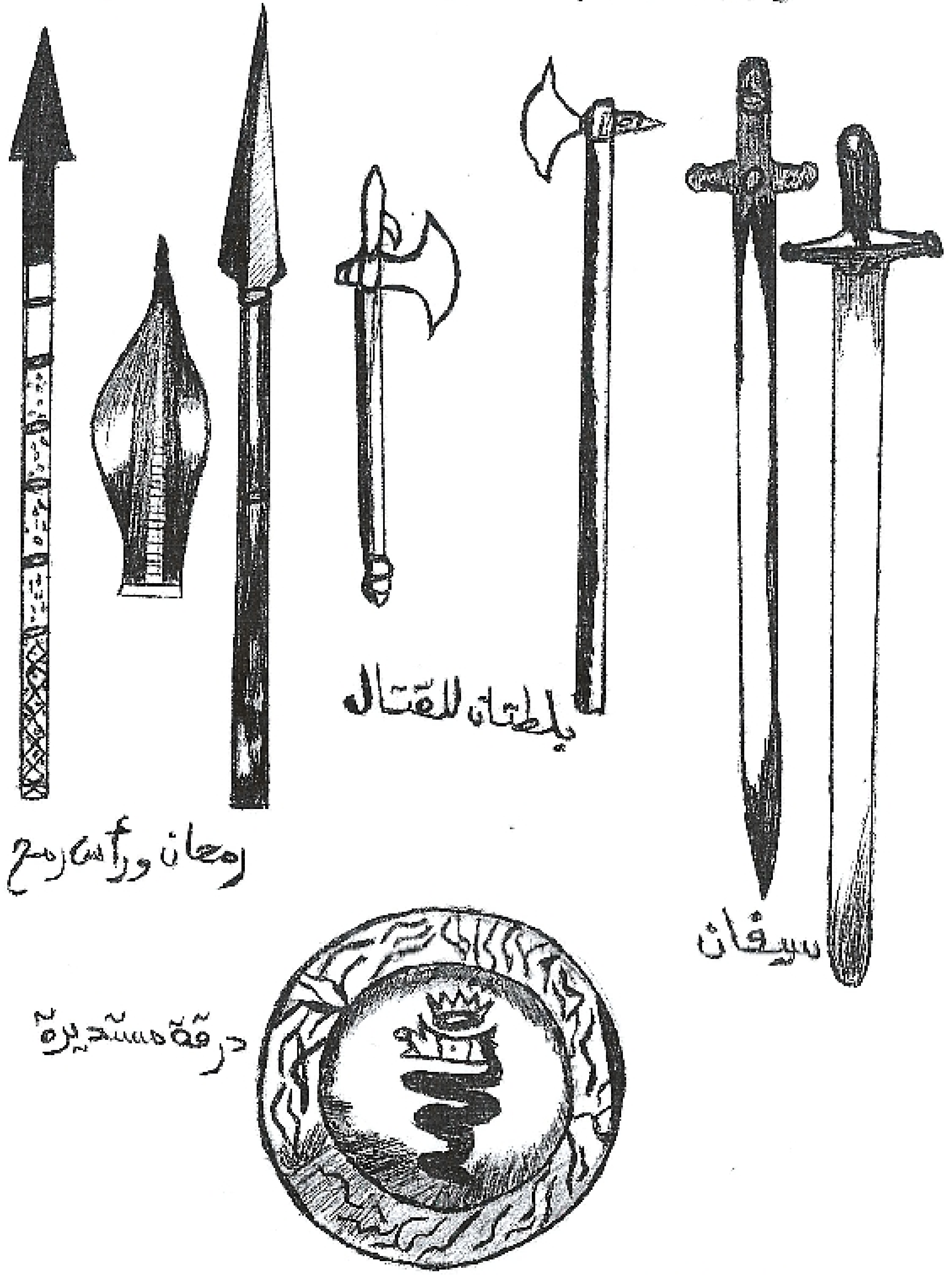


(1) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص 49.

الملحق رقم 9: خريطة تتبع مطاردة المنصور لأبي يزيد في المغرب الأوسط (335هـ)(1)

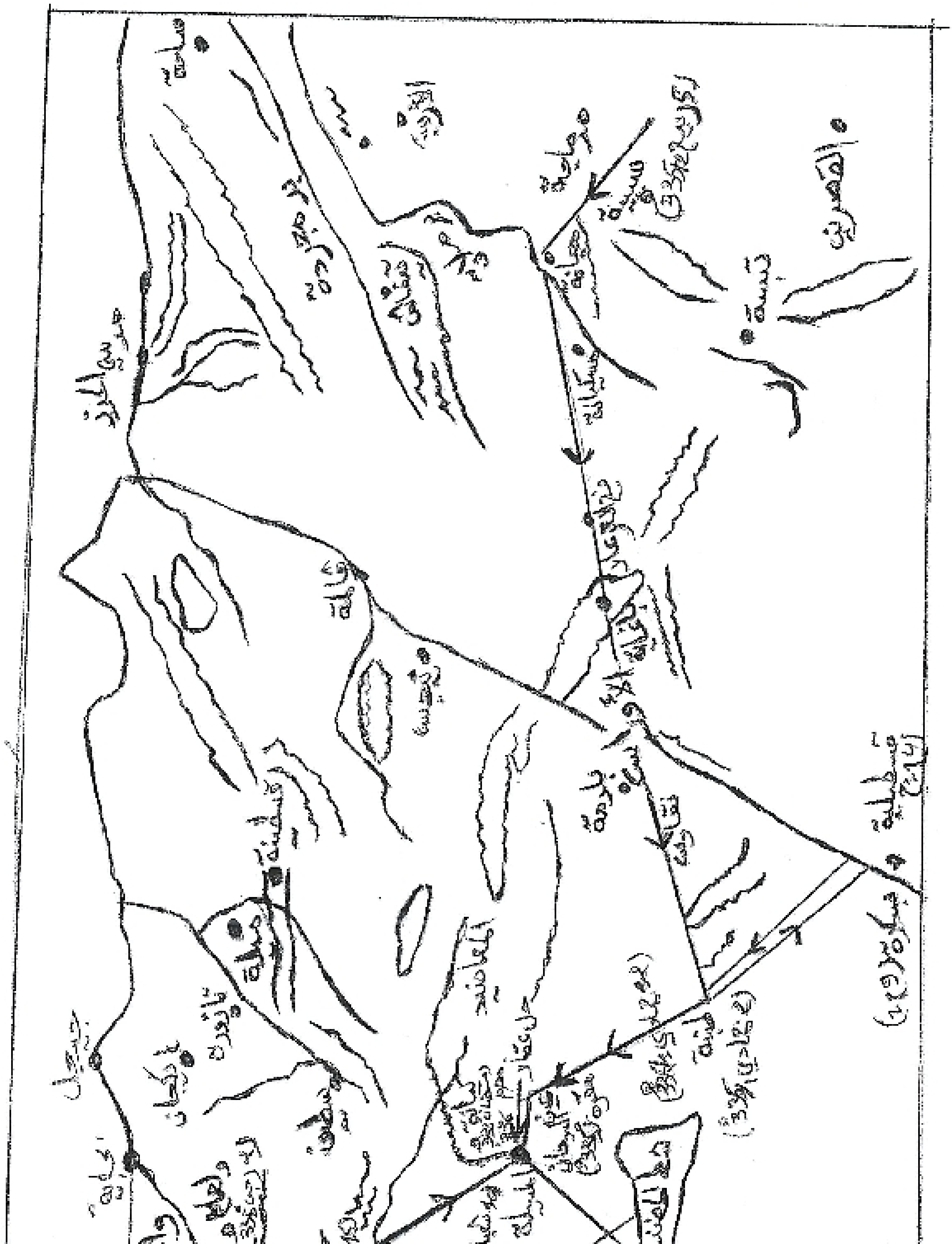

(1) الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 388.

الملحق رقم 3: "خريطة توضح أهمية صقلية للفاطميين في بلاد المغرب"(4).

(4) عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص ص 246-247. عن: يزيد أحمد، المرجع السابق، ص 7.

الملحق رقم 4 : خريطة تمثل توزيع حارات العسكرات بعد الفتح الفاطمي لمصر (1)

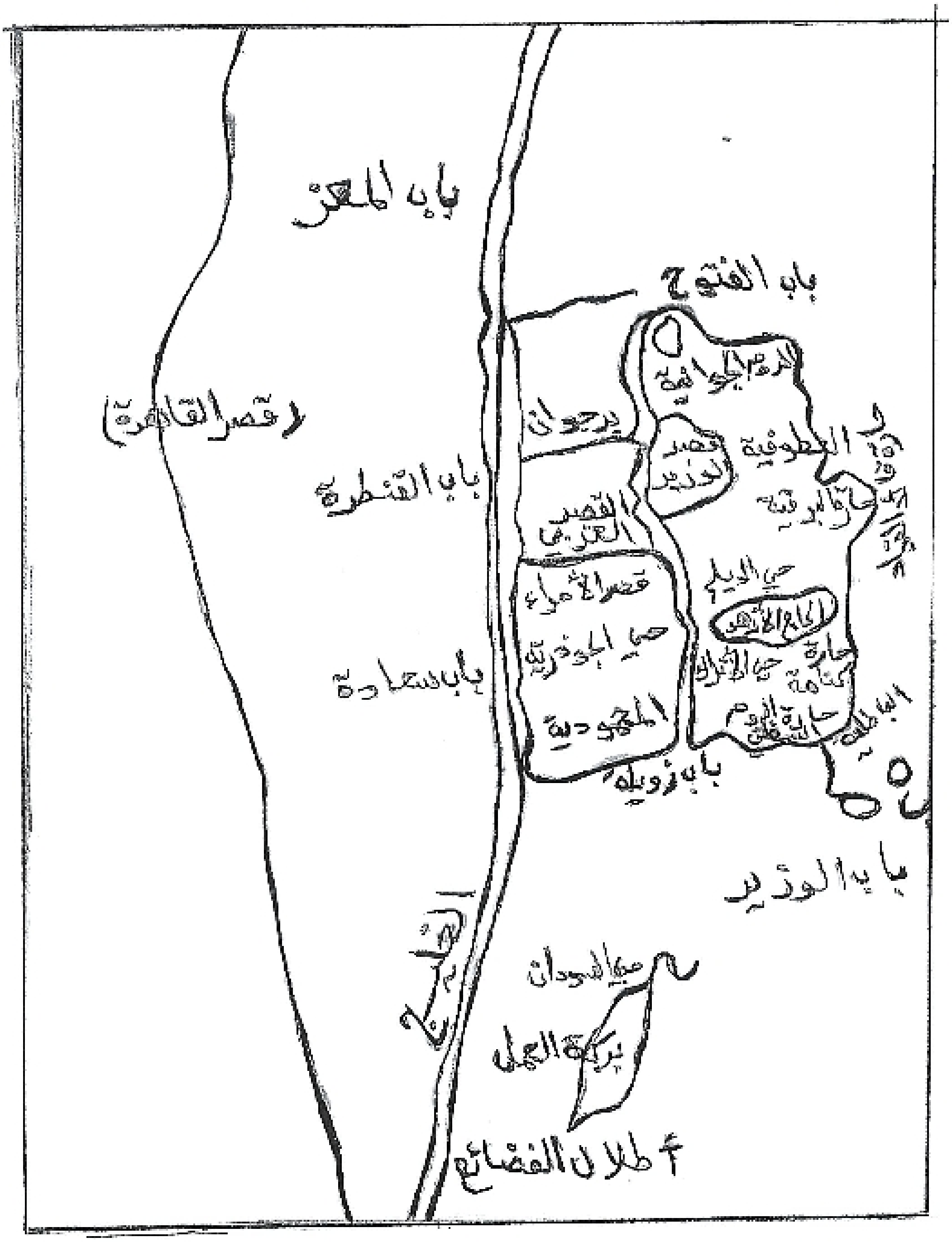


(1) عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 193.

الملحق رقم 5: خريطة توضح نتائج الحملة الصليبية الأولى واحتلال بيت المقدس.(1)

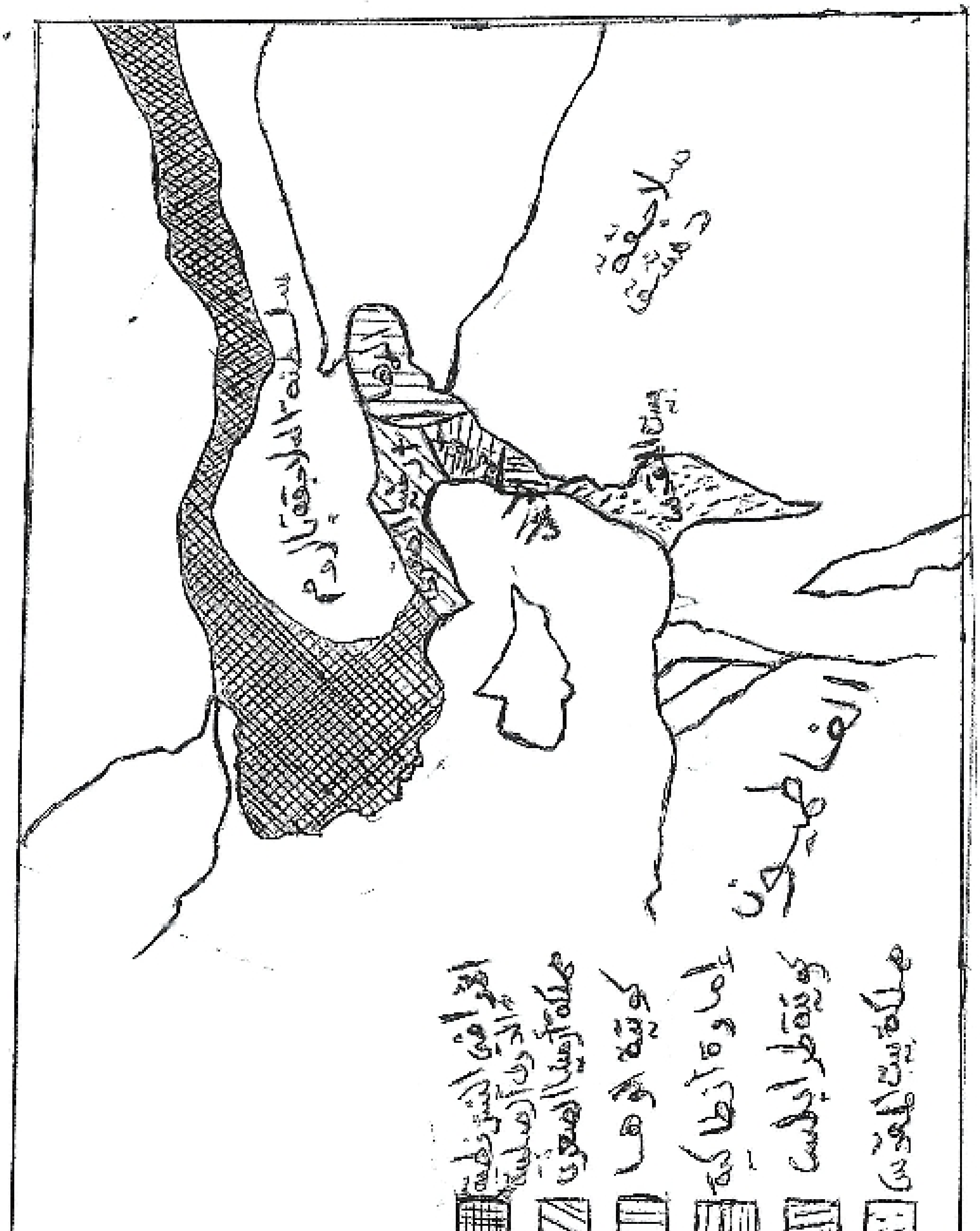

(1) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص: 65.

ملحق رقم 6: "خريطة توضح مطاردة الصليبيين وشاور لجيش شيركوه وصلاح ومعركة البابين (1)

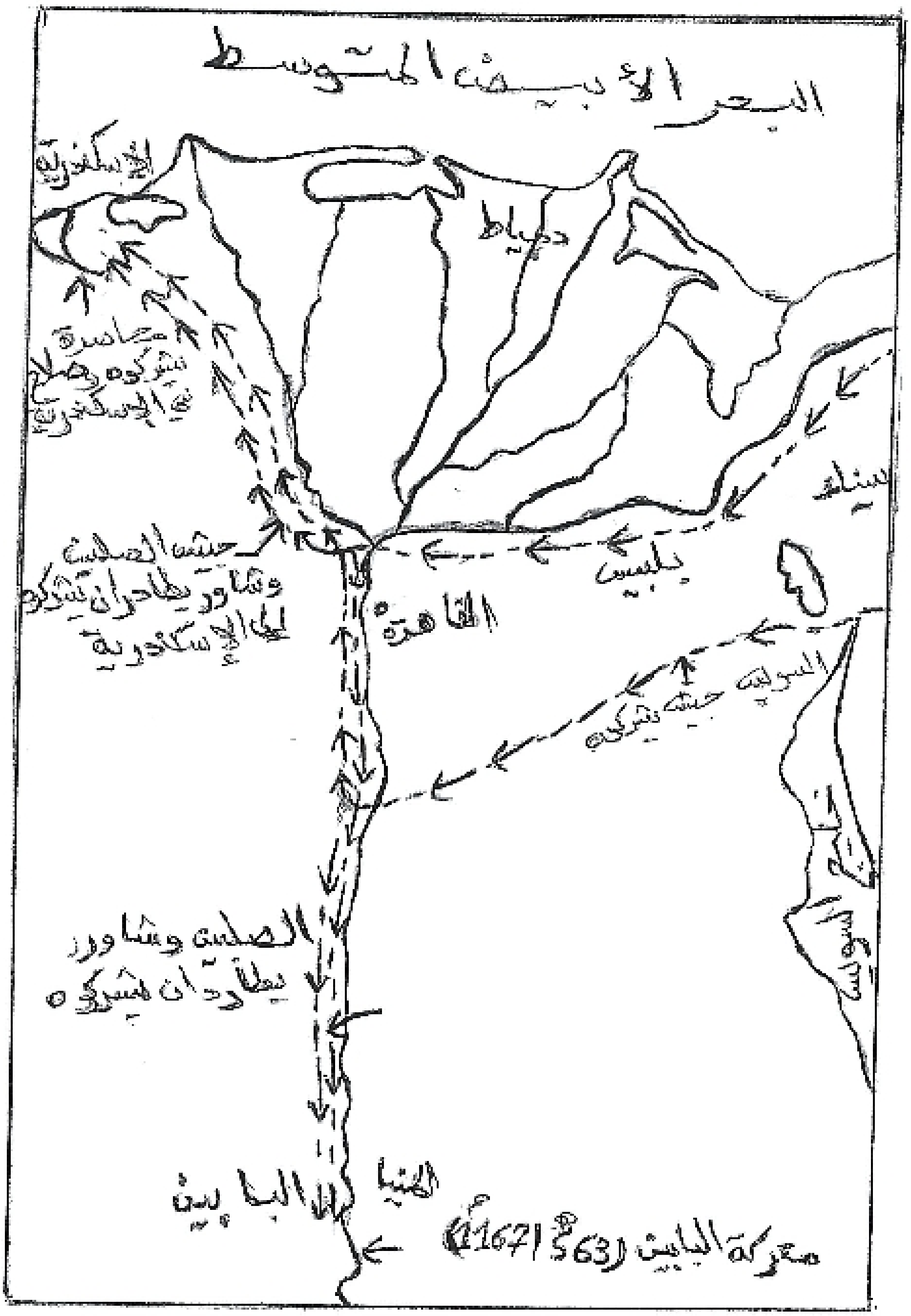


(1) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص 67.

الملحق رقم 7: "تمثل مراحل معركة البساتين بالمنيا" 563هـ / 1167م"(2).

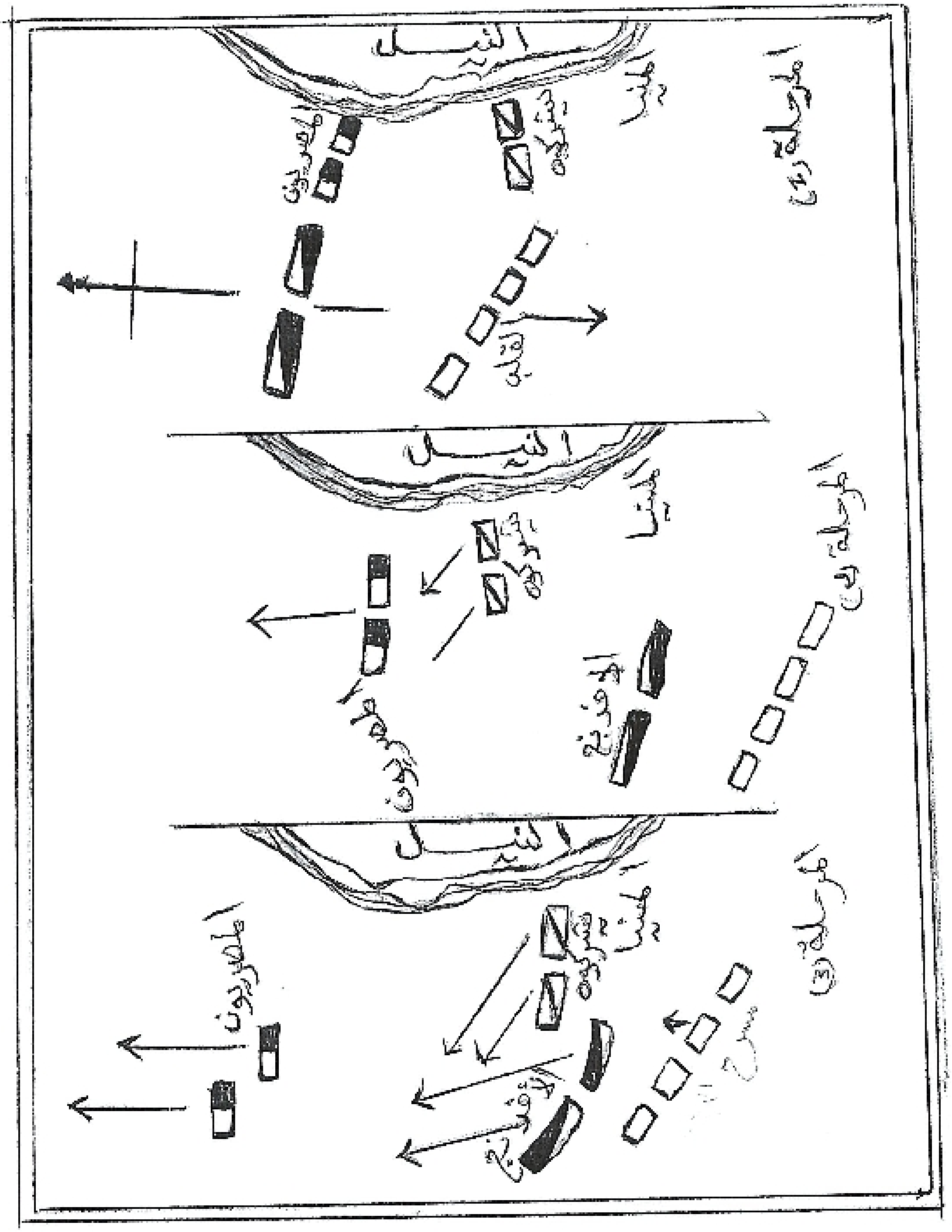


(2) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص 69.

# قائمة المصادر و المراجع

أولا: المصادر:

1) القرآن الكريم

2) ابن قتيبة محمد عبد الله بن مسلم ، الإمامة و السياسة. تح، محمد الرفعي، مطبعة النيل، مصر.

3) ابن أبي الدينار أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الوغى القيرواني : المؤنس في أخبار إفريقية و تونس. مطبعة الدولة التونسية لحاضرتها المحمية، 1286هـ.

4) ابن اسحاق محمد بن يسار المطلبي المدني:(ت، 151هـ)، السيرة النبوية. :تح، أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م.

5) ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشبان الجذري، الكامل في التاريخ. ج8،مر: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، 1987م.

6) ابن أيبك أبو بكر بن عبد الله الدواداري، كنز الدرر و جامع الغرر( الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية). ج6، تح: صالح الدين المنجد، القاهرة، 1380هـ، 1961م.

7) ابن الخطيب لسان الدين ، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط. تح، أحمد المختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، 1946م.

8) ابن خلدون عبد الرحمن ، تاريخ ابن خلدون،( ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر). ج4، مر، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ، 2000م.

9) ابن عذارى أبو العباس بن أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب. ج1:(د، ت).

10) ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان. مج3، تح، احسان عباس، دار صادر، بيروت.

11) ابن حماد أبي عبد الله محمد بن علي ، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم. تح: التهامي نقرة: عبد الحليم عربي، دار الصحوة، القاهرة.

12) ابن كثير الحافظ عماد الدين ابي الفراء اسماعيل ابن عمر القرشي الدمشقي ، البداية و النهاية. مج15، عبد الله بن عبد المحسن السراكي. هجر للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلام، 1998م .

13) ابن سعيد علي بن موسى بن محمد، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة( القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب). تح: حسين نصار، مطبعة دار الكتب، 1970م.

14) ابن الطوير أبو محمد المرتضي عبد السلام بن الحسن العيتراني ، نزهة المقتين في أخبار الدولتين. تح، أيمن فؤاد سيد، فرانتين شتاير شتوتغارت، 1412هـ، 1991م.

15) ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري القرطبي، القصد و الأمم في التعريف بأصول أنساب العرب و العجم و من أول من تكلم بالعربية من الأمم. (ت 463هـ)، مكتبة القدس، 1350هـ.

16) ابن أبي زرع الفاسي بن عبد الله ، الأنيس المطرب بروض القرطاس( في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس). صور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972م.

17) ابن السعيد أبي عباس أحمد ، (ت، 670هـ)، طبقات المشائخ بالمغرب. ج1، تح، ابراهيم طلاي، (د، ط)، (د، ت).

18) ابن خليل غليون أبي عبد الله محمد ، التذكار( تاريخ طرابلس الغرب في من ملك طرابلس و ما كان بها من الأخبار). تح، الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المطبعة السلفية ، القاهرة، 1349هـ.

19) ابن زولاق الحسن بن ابراهيم بن الحسن ، فضائل مصر و أخبارها و خواصها. تح، علي محمد عمر، مكتبة الأسرة، (د، ت).

20) ابن إياس محمد بن أحمد، بدائع الزهور في واقع الدهور. ج1، تح، محمد مصطفى، دار إحياء المكتبة العربية، القاهرة، 1395هـ، 1975م.

21) ابن القلانسي أبي يعلي حمزة ، ذيل تاريخ دمشق. مطبعة الأباء اليسوعين، بيروت، 1908م.

22) ابن الشحنة أبي الفضل محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب. تق، عبد الله الدرويش، دار الكتاب العربي، 1404هـ، 1984م.

23) ابن العديم كمال الدين أبي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله الحلبي الحنفي، (ت، 660هـ)، زبدة الحلب من تاريخ حلب. تح، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م.

24) ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1408هـ-1988م.

25) ابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة. ج4، تق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ، 1992م.

26) أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي،(ت، 458هـ)، الأحكام السلطانية . تح، محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ، 2000م.

27) الإدريس الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. مطبع بريل، 1862م.

28) الأنصاري احمد بك النائب ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب.

29) الأنطاكي يحي بن سعيد بن يحي ، تاريخ الأنطاكي:(صلة تاريخ أوتيخا). تح، عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، 1990م.

30) الباجي المسعودي أبي عبد الله محمد ، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية. مطبعة بيكار و شركائه، تونس، 1323هـ.

31) الجوذري أبي عبد الله منصور العزيزي ، سيرة الإمام جوذر( و به توقيعات الأئمة الفاطميين). تح، محمد كامل حسين، محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي.

32) الجزنائي علي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس . تح، عبد الوهاب ابن مصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ، 1991م.

33) الحموي ياقوت ، معجم البلدان. ، دار صادر، بيروت:(د، ت).

34) الذهبي الاسلام الحافظ ، العبر في خبر من غبر . ج2، تح، أبو هاجر محمد السعيد بن سيوفي زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ.

35) السيوطي جلال الدين، تاريخ الخلفاء. مطبعة واقع كرديد، (د، ط)، 1403هـ، 1886م.

36) الشهرستاني أبو الفتح الإمام محمد بن عبد الكريم، الملل و النحل. ج1، مطبعة بولاق، 1293هـ.

37) الشارتري فوشيه ، تاريخ الحملة إلى القدس. تر، زياد العسيلي، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، 1990م.

38) الطبري أبو جعفر جرير ، تاريخ الطبري. مج13، تح، محمد بن الطاهر البرزنجي، مر، محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، ط1، 1428هـ-2007م.

39) العيني بدر الدين ، .( ت، 855هـ)، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تح: فهيم محمد علوي شلتوت، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998م.

40) أحمد القلقشندي أبي العباس أحمد ، صبح الأعشى.ج3، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1322هـ،1914م.

41) ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان.تح، ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط2، القاهرة، 1982م.

42) القضاعي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر، الحلة السراء، ج2، تح، حسين مؤنس، دار المعرفة، القاهرة.

43) المقريزي احمد بن علي ، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الأثار.(ت، 845هـ)،ج2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مطبعة بولاق، القاهرة.

44) ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين، تح، محمد حلمي محمد أحمد، (د، ت)

45) الماوردي أبو الحسن ، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية. ( د،ط)، (د، ت).

46) المالكي ابي بكر عبد الله بن محمد ، رياض النفوس( في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و سير من أخبارهم و فضائلهم).ج1، تح، بشير بكوش، مرة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

47) الناصري أبو العباس أحمد خالد ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى. ج1، تح، جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ-1997م.

48) النعمان القاضي ،(ت، 363هـ)، افتتاح الدعوة. تح، فرحان الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986م.

49) المجالس و المسايرات. تح ، الحبيب الفقي و آخرون، دار المنتظر، بيروت، 1996م.

50) خسروا ناصر ، سفر نامة. تر، يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.

51) عماد الدين عماد ادريس ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب. تح، محمد يعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

52) مؤلف مجهول، مفاخر البربر. تح، عبد القادر بوباية، درا أبي رقدان للطباعة و النشر، الرباط، 2005م.

53) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار. تح، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ( د، ت).

ثانيا: المراجع:

54) أيوب حسن ، الخلفاء الراشدون، (أبو بكر، عمر، عثمان، علي، أيامهم و سيرهم). تح، كرم حلمي، 2003.

55) أحمد عزيز ، تاريخ صقلية الإسلامية. الدار العربية للكتاب، 1381هـ-1980م.

56) أبو النصر محمد عبد العظيم يوسف ، السلاجقة تاريخهم السياسي و الفكري. عين للدرسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 2001م.

57) إسماعيل محمود ، الأدارسة( 176-375هـ). مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ-1991م.

58) الأعظمي محمد حسن ، عبقرية الفاطميين( أضواء على الفكر و التاريخ الفاطمي). منشورات دار مكتبة الحياة، (د، ط)، ( د، ت).

59) التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم( الدولة الادريسية). مج4، 1407هـ-1997م.

60) الثعالبي عبد العزيز ، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية. تح، أحمد ميلاد، محمد ادريس، تق، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

61) الحريري سيد علي ، الأخبار النسية في الحروب الصليبية. الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1406هـ-1985م.

62) الخربطولي حسن علي ، أبو عبد الله الشيعي، مؤسس الدولة الفاطمية. المطبعة الفنية الحوثية، 1278هـ .

63) الدشراوي فرحات ، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي و المؤسساتي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م .

64) الصلابي محمد محمد علي ، الدولة العبيدية في ليبيا.(د، ط)، (د، ت).

65) الطالبي محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي ( 184-296هـ/800-909م). تح. المنجي الصيادي، مر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م .

66) العبادي أحمد المختار ، في التاريخ العباسي و الفاطمي، دار النهضة، بيروت.

67) الموس سعد بن موسى ، موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية، نسبا و معتقدا. دار القاسم للنشر و التوزيع، الرياض.

68) الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القدم و الحديث. تق، محمد الميلي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د، ت).

69) التميمي الفضل بن علي ، الخلفاء الأربعة(أبو بكر، عمر، عثمان، علي، أيامهم و سيرهم). تح، كرم حلمي، فرحات أبو صبري، القاهرة، 1999م.

70) باركر أرنست ، الحروب الصليبية. السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1386هـ- 1967م

71) جمال الدين عبد الله محمد ، الدولة الفاطمية( قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش). دار الثقافة و النشر و التوزيع، القاهرة، 1411هـ، 1991م.

72) حسن علي ابراهيم، تاريخ جوهر الصقلي و قائد المعز لدين الله الفاطمي. مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة، 1963م.

73) حسن حسن ابراهيم ، طه أحمد سراف، عبد الله المهدي إمام الشيعة الاسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب. مكتبة النهضة المصرية، (د، ت).

74) حسن زكي محمد، كنوز الفاطميين. دار الكتب المصرية، 1927م.

75) دفتري فرهاد ، الإسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم و فكرهم. تر، سيف الدين القصير، منشورات المدى، ط1، 1999م.

76) دي خويه ميكال يان ، القرامطة، نشأتهم ، دولتهم و علاقاتهم بالفاطميين. تر، حسين زينة، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1978م .

77) زكار سهيل ، أخبار القرامطة في الأحساء، الشام، العراق، اليمن،، دار احسان للطباعة و النشر، 1402هـ، 1982م.

78) زكي عبد الرحمن : الجيش المصري في العصر الإسلامي( من الفتح العربي إلى معركة المنصورة). مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، 1970.

79) زيتون محمد محمد ، القيروان و دورها في الحضارة الاسلامية. دار المنار، القاهرة، 1408هـ-1988م.

80) طقوش محمد سهيل ، تاريخ الفاطميين في شمالي افريقيا و مصر و بلاد الشام. دار النفائس، بيروت، 1417هـ 2001م.

81) مبارك علي : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة و مدنها و بلادها القديمة و الشهيرة. ج1، مطبعة الأميرية، بولاق، 1306هـ.

82) مبارك أحمد باقر عبد الله، الحرب الصليبية. مجلة الهجرة، 1981م.

83) ماجد عبد المنعم ، نظم الفاطميين و رسومهم في مصر( دراسة شاملة لنظم القصر الفاطمي و رسومه). ج2، مكتبة الأنجلو مصرية : القاهرة 1978م.

84) ، ظهور الخلافة الفاطمية و سقوطها في مصر( التاريخ السياسي). دار لفكر العربي، القاهرة، ط4، 1414هـ-1994م.

85) مشرفة عطية مصطفى، نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين( 358-567هـ/968-1711م). دار الفكر العربي، ط2، (د.ت).

86) مقبل فهمي محمد توفيق محمد ، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية. ( د. ط)، ( د. ت).

87) مصطفى سعد سامية، العلاقات بين المغرب و الأندلس في عصر الخلافة الأموية. عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، 2000م.

88) مؤنس حسين : معالم تاريخ المغرب و الأندلس. مكتبة السرة، 2004م .

89) مؤلف مجهول، الخليفة المعز لدين الله باني القاهرة و منشئ الجامع الأزهر ما كان مرقدا و لا نصرانيا و لكن كان حنيفا مسلما.(د، ط)، 1931م.

90) تعنعي عبد المجيد : تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ( التاريخ السياسي). دار النهضة العربية، بيروت، 1986م .

91) عبد الوهاب حسن : تخطيط القاهرة و تنظيمها منذ نشأتها. مطابع دار النشر للجامعة المصرية، القاهرة، 1957م .

92) محمد علي كرد : خطط الشام. ج1، دمشق، 1343هـ1925م .

93) عوض محمد مؤنس : الحروب الصليبية ( العلاقات بين الشرق و الغرب). عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، ط1، 1999م .

94) عبد الرزاق محمد اسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع للهجري. نشر و توزيع دار الثقافة، دار البيضاء، 1985م .

95) عنان محمد عبد الله: الحاكم بأمر الله و أسرار الدعوة الفاطمية. مطبعة المدني، القاهرة، 1983م.

96) عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي( الفاطميون و بنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين). ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية.

97) فرج محمد : المدرسة العسكرية الإسلامية. دار الفكر العربي، ط2، ( د، ت).

98) فيلالي عبد العزيز : العلاقات السياسية الأموية في الأندلس و دول المغرب. دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة، 1999م .

99) قساطلي نعمان ، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء. دار الرائد الولي، بيروت، ط1، 1291هـ 1879م.

100) سرور محمد جمال الدين ، تاريخ الدولة الفاطمية. دار الفكر العربي، القاهرة.

101) سيد أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر ( تفسير جديد). الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1453هـ، 1992م.

102) شرقاوي عبد الله ، تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك و السلاطين. تح، رحاب عبد الحميد القاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1416هـ- 1996م.

**ثالثا: الموسوعات:**

103) كاشف سيدة إسماعيل و آخرون، موسوعة مصر عبر العصور( تاريخ مصر الإسلامية). الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

# الفهرس

## فهرس المحتوى


إهداء

شكر و عرفان

مقدمة:........................................................................................أ

فصل تمهيدي: الدعوة و قيام الدولة العبيدية:................................................07

الفصل الأول: نظم الجيش الفاطمي:..........................................................18

المبحث الأول: تركيبة الجيش الفاطمي:.......................................................18

المبحث الثاني: الأسلحة و التسليح في الجيش الفاطمي:...................................28

المبحث الثالث: مرتبات الجند الفاطمي و إقطاعاته:.........................................38

الفصل الثاني: الجيش الفاطمي في المغرب و صقلية:(297-362هـ/910-972م)..........47

المبحث الأول: دور الجيش في إخماد ثورت المغرب الأدنى:.............................47

المطلب الأول: ثورة القصر القديم(299هـ-912م):.........................................47

المطلب الثاني: ثورة القيروان(299هـ-912م):...............................................48

المطلب الثالث: ثورة طرابلس(300هـ-913م):...............................................50

المطلب الرابع: ثورة برقة(304هـ-918م):....................................................52

المبحث الثاني: دور الجيش الفاطمي في إخماد ثورات المغرب الأوسط:..................55

المطلب الأول: ثورة كتامة(299هـ-912م):........................................55

المطلب الثاني: ثورة زناتة(312هـ-920م):........................................57

المطلب الثالث: ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد(323هـ-935م):........................59

المبحث الثالث: دور الجيش في التوسع إلى المغرب الأقصى:..........................68

المبحث الرابع: نشاط الجيش في صقلية:...............................................75

المطلب الأول: أهمية صقلية:..........................................................75

المطلب الثاني: دور الجيش الفاطمي في إخماد ثورات صقلية (304هـ/917م):............78

المطلب الثالث: اتخاذ صقلية قاعدة عسكرية للجيش الفاطمي:............................82

الفصل الثالث: الجيش الفاطمي في مصر و الشام:(358-567هـ/968-1171م).......86

المبحث الأول: دور الجيش في انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر:........................86

المطلب الأول: أهمية مصر:.............................................................86

المطلب الثاني: حملات الجيش الفاطمي على مصر:......................................88

المطلب الثالث: بناء القاهرة و اتخاذها قاعدة عسكرية:..................................94

المبحث الثاني: نشاط الجيش الفاطمي في الشام:.......................................100

المطلب الأول: فتح الشام( 358هـ/968م):...............................................100

المطلب الثاني: الحرب مع القرامطة(360هـ/971م):......................................102

المطلب الثالث: الحرب مع أفتكين(365هـ/976م)..........................................04
المطلب الرابع: الحرب مع بكجور(373هـ/983م):........................................108
المبحث الثالث: الجيش الفاطمي في الحملة الصليبية الأولى:..........................110
المبحث الرابع: تفكك الجيش الفاطمي:....................................................118
خاتمة:..................................................................................125
الملاحق:..............................................................................128
قائمة المصادر و المراجع:............................................................136
فهرس المحتوى:.......................................................................148